روايات غادة

غادة

القفص الذهبي

www.elromancia.com

مرموزية

دار العلم الجديد
بيروت - لبنان

روايات غادة

التقيا صدفة، وافضت له روبينا بمخاوفها.. فتطوع لمساعدتها... لكن، حين طلب رد الجميل لم تكن روبينا تنتظر أن تورط معه بشيء أكثر من رد جميله..

تبين لها فيما بعد أن ليو جيفرسون قادر على أي شيء تطلبه منه.. فهو تمني، واسع الحيلة، كثير المعارف، وناقد الكلمة.. مع ذلك كان يحتاجها، واحتاجها فعلاً أكثر من مرة.. فالى أي مدى يمكن أن تصله علاقتهما؟

يطلب من مكتبة الصفاء
ابو ظبي
تلفون ٧٧٢٠٥٣

يطلب من دار إحياء العلوم
الدار البيضاء
تلفون 319411

يطلب من شركة دار الفكر
تونس
تلفون 564785

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الظمني للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٨٩٩

القفص الذهبي

www.elromancia.com
مـــرمـــوليـــة

فرانسيس آشي

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

- ١ -

الزوج الغريب

خرجت روبينا من الطائرة جنبا الى جنب مع ليو. ونزلا السلم معا.. ذراع ليو ملقيه بحماية وتملك حول كتفيها، وهو يخفف من خطواته لتتناسب مع خطواتها.. في منتصف الطريق، توقف ليديرها نحوه ويأخذها بين ذراعيه، هامسا: «لأجل النظارة فقط».. مع ازدياد ضغطه عليها، ارتفعت ذراعاها الى فوق لتلتف حول عنقه، ودفنت يديها في شعر مؤخرة عنقه، تجذبه الى عناق حميم أكثر.. أحست روبينا بمشاعر عنيفة، غير معروفة، تجري في عروقها ربما نوع من الشوق تعرفه من حياة أخرى.. حين ابتعد أبعدت يديها عنه بتردد غريب.

قال يحذرها:

ـ تذكري الآن.. دعيني أقوم بكل الحديث.. أنت فقط عليك أن تُظهري السعادة، وأن تكوني جميلة، ومبتسمة كثيراً.. وتوافقي على كل شيء أقوله.. مفهوم؟

تمتمت:

ـ أنا.. أجل.

عبث بيدها اليسرى وأحست بصلابة المعدن وبروده على احد أصابعها، ثم قادها على السلم، وذراعه تحتضنها.

سارا معاً في خطوة موحّدة نحو برودة قاعة الخروج المبردة، وشقا طريقهما الى المدخل.. كانت الحقائب قد أصبحت على العربات بانتظار أصحابها.. كل زملائهم المسافرين اختفوا.. في الخارج استطاعت روبينا أن تسمع محركات إحدى الطائرات تتحمّى لتصعد.. وسعت عيناها للتفتيش في بهو المطار.. من السهل كفاية الوقوف على سلم الطائرة والقول بصوت مرتفع: لست خائفة منك أيها العم راندولف.. لكن هنا، فوق الأرض، تتحرك لتقترب أكثر فأكثر للقاءه..

قصة أخرى.

أشارت الى حقيبتها الوحيدة، وسحبها ليو عن العربة، وسحب معها حقيبتان رائعتان من جلد البقر له. ولمعت الأحرف الأولى الذهبية من إسمه في وجهها ل. م. ج. ماذا تعني يا ترى؟ جزء من تفكيرها كان يتساءل بينما الجزء الآخر كان يدير لها عينها الى الزوايا المعتمة من البهو.

قال بصوت ناعم يشدها نحوه:

ـ هاي.. تذكري ما قلته لك.

تمتمت:

ـ أجد الأمر صعباً جداً.. أتمنى لو أن معي قرصاً آخر..

غضنت وجهه تقطيبه شديدة:

ـ أقـراص؟ وفي مثـل عمـرك؟

ـ حسناً.. لقد قالت العمة لاورا إنني حساسة أكثر من اللازم.. أو شيء من هذا، والأقراص...

ـ العمة لاورا؟

ـ إنها.. شقيقة أبي، وهي.. الوصية عليّ.. أعتقد.

ـ أنسي أمر الأقراص، أتريدين شيئاً من هنا؟

أدركت أن ما تريده هو أن لا تخرج من الباب.. البهو في الخارج، لا أثر لأي شخص من أسرة مورغان فيه.. وكل ما تريده أن تبقى هنا.. أحنت رأسها الى الأمام لينسدل شعرها متأرجحاً، ثم أعادته بأصابعها الى مكانه.. كل هذا كان مجرد ذريعة، محاولة لإعطاء نفسها الوقت الكافي لترتب مشاعرها المتشوشة.. فلا شيء كهذا مرّ عليها من قبل.

قال لها يفتش في البهو:

ـ أشباحك ليست هنا.

تنهدت:

ـ يجب أن يكونوا هنا.. لن ليتركوني..

ـ لـن يتركـوك حـرة؟

ـ أنا.. عمتي لاورا هي كل عائلتي، وما تبقى لي.

أذهلها أن تجـد نفسها تدافع عن عمتها، حتى ولو بطريقة حقيرة.. لكن العادات القديمة العهد لا تموت بسهولة.. وحتى يوم تزوجت العم راندولف منذ ثلاثة سنوات، كانت العمة لاورا لطيفة متصفة متفهمة كأكثر ما يمكن لإمراة جديرة أن تكون.

ـ لـديك المزيـد من العـائلـة الآن.. تـذكـري مـا قلتـه لـك،

وابتسمي كثيراً، وكوني جميلة.. لكن إقفلي فمك، مفهوم؟

ـ أجل.. نعم سيدي.. أبي كان ضابطاً في البحرية.. وتبدو مثله تماماً.

ضحـك.

ـ لا يدهشني هذا، تحضري إذن واستعدي للقفز.

ذراعه القوية التفت حول خصرها، تضع فيها الشجاعة من فوق قماش فستانها الحريري.. وتنعمت روبينا بلمسته وأعادت بناء شجاعتها.. حين تركها ليو، ورفع الحقائب، وأحست بالحرمان، كفتاة صغيرة كانت تتوقع قطعة كراميل، ولم تحصل سوى على ابتسامة.

بيدين مملوئتين، أدار ليو ظهره الى الباب الزجاجي ودفعه لينفتح وأبقاه هكذا الى أن مرت عبره.. كانت تبتسم له شاكره حين سمعت هدير صوت ورائها.

ـ حسناً.. لقد آن الأوان.. أبقيتنا منتظرين في حرارة الشمس نصف ساعة!

أجفلت روبينا، أنه العم راندولف.. وهكذا أول فرقعه بالسوط. وتعرف ماذا يعني. فروبينا مورغان ليست مسؤولة فقط عن الإنتظار، بل عن حرارة الشمس كذلك.. وبالتالي الى ما سيشعر به من قلة راحة لقيادته السيارة من حدود كارليل الى منطقة البحيرات الشمالية وهنـاك تهديد محدد وراء كلامه أيضاً.. وكأنه يقول، «إنتظري لنصل الى البيت يا فتات!»

أدركت روبينا فجأة، أن حتى هذا الرجل، هذا الليو بالكاد

يستطيع التعامل مع العم راندولف.. ويا إلهي.. كريستوفر وراءه تماماً.. صدق العم راندولف أصبح أجشا عميق النبرات من سنوات من الحياة الخشنة.. وله رنين صوت البغل المرون.. العم راندولف، لـو وصفنا ما كان عليه فوق ما هو الآن لرأيت فارقاً كثيراً.. إنه يرتدي أفخر ما يشتريه المال من ثياب.. وهزت روبينا رأسها متجهمة، إنه مالي.. بذلة بيضاء خفيفة صيفية، وحذاء ركوب، وكأنه يجروء أساساً أن يقترب من جواد، وقبعة رعاة واسعة.. طوله أقل من ستة أقدام بقليل، يميل الى البروز عند الوسط، وجه منتفخ، وبالرغم من إدعائه بأنه مزارع، فهو يخشى الوقوف في الشمس، وإبنه كريستوفر نسخة طبق الأصل عنه. ما عدا القبعة.. فكريستوفر فخور بشعره الأشقر الطويل حتى الكتفين. وبينما وجه أبيه بشع خشّنته الحياة، وجه كريس كوجه الطفل.

ضغـط ليو على كتفها بلطف ليُخرجها من تفكيرها:

ـ هذه إذن عائلتك؟

وضع الحقائب على الأرض، ووقف وقدماه منفرجتان قليلاً عيناه كعيني الصقر تتفرسان بالرجلين الواقفين أمامه.

لم ينتظر ردها، بل تحرك مباشرة أمام العم راندولف، ليقف بهذا بينها وبين أقاربها.. متلاصقاً مع العم بما يكفي لأن يتراجع قليلاً ويرفع رأسه لينظر إليه.. وقال:

ـ أنا ليو.. ليو جيفرسون.. أتعرف هذا؟

نظر الرجلان إليه بغباء.. وهذه أول مرة ترى فيها روبينا العم

راندولف مكفهر الوجه، والفكرة هذه أعادت لها شيئاً من رباطة جأشها. . وتحركت ضحكة صغيرة في حلقها، وكادت أن تخرج. . كادت، لولا الذي تلا هزها مجفلة. وكرر:

- ليو جيفرسون. . زوج القطة الجديد.

تراجع العم راندولف وكأن عقربا لسعه. وفتح فمه ليقول شيئاً، لكنه لم يستطع سوى أن يشهق. . أما كريس الذي بدا كطفل يراقب شخصاً يسرق منه الأيس كريم، فقد تقدم خطوتان مهددتان الى الأمام. . وابتلعت روبينا ريقها، محاولة أن لا تختنق به. . قال العم!

- أتعني أنك. . وروبينا. . أنتما معاً؟

وانقلب وجهه الى لون غروب الشمس.

رد ليو ضاحكاً:

- في كيان واحد. . روبينا وأنا. . نحن معاً. . اليس هكذا أمر رائع؟

استدار نحوها ليجرها إليه ويرفع ذقنها بإصبعه:

- أمر رائع. . اليس كذلك قطتي؟

كانت ثقة روبينا بنفسها تزداد وتقفز عالياً.

- أنا. . . أجل. . أمر رائع.

لا شك في هذا. . إنه قادر أن ينجح. . إنه يفعل هذا الآن! وأكملت!

- كالسحر! أمر رائع حتى يكاد لا يُصدق!

نظرا إليها ليو بعينين أقفلتا فمها. . كوني جميلة، وأقفلي

فمك. . فالأمور سيئة بما يكفي مع وجود إثنان من عائلة مورغان يستشيطان غيظاً، دون إضافة واحد من عائلة. . ماذا قال. . جيفرسون الى اللائحة. . إلا يبدو والإسم جميلاً؟ ليو. م. جيفرسون. . السيدة روبينا جيفرسون؟ إنه اسم له رنين خاص. . أين سمعت هذا الإسم من قبل؟ ثم رفع لها يدها اليسرى أمام أنف العم راندولف. . وقال:

- أترى. . أمر موقع، مختوم، وتم استلامه، حتى يفرقنا الموت. . وكل ما الى ذلك.

شهق العم راندولف ثانية. . أمامه في نور الشمس كانت تشع أكبر الماسة شاهدتها روبينا من قبل. . . خاتم مبهرج لماع قديم الطراز، يحيط بالحص رقائق الماسية، في إطار من البلاتين. والذي كان نسخة مماثلة لخاتم بلاتين آخر مزخرف أيضاً لكن دون حصوص الماس، الى جانبه في اصبعها.

دفع كريس والده جانباً، يصدر صوتاً عميقاً في حنجرته. . ذراعاه ممدودتان، وكأنه يعني بهما الموت في تلك اللحظة، أو على الأقل في الخمس ثوان التالية. . راقبه ليو يتقدم بابتسامة تافهة. . ثم وفي آخر لحظة، أزاح روبينا جانباً، ثم تحرك بسرعة وذراعاه أمامه، وفجأة أصبح كريستوفر يجلس أرضاً وأنفه محني قليلاً، والدم ينزم بخيط رفيع منه.

شهقت روبينا لجرأة هذا الرجل الذي يدعي أنها عروسه.

- لقد ضربته!

رد ببرود:

www.elromancia.com

ـ أجل.. هذا ما يبدو لي.. لكنه آلم أصابعي. أمر سخيف، لكنه ردة فعل.. حركة كاراتيه كانت أفضل.. فالأصابع نقطة ضعيفة للضرب.. وأنا بحاجة الى قليل من العطف.. قطتي.

ـ لكنك.. ضربت كريس!

رأسها كان يضج بالفكرة.. يا الله.. كم مرة أردت فيها أن أضربه بنفسي..! كم مرة؟ وها هو ليو، مد يده.. هكذا.. وضربه!

وتمتم:

ـ حسناً.. بدا لي الحركة الوحيدة اللازمة.. فقد كان متهجماً. أهناك من بحاجة إلى الضرب وأنا لا أزال في هذا المزاج!

العم راندولف، عاشق لزمن طويل بتعقله.. بسرعة حوّل المواجهة الى المستوى الكلامي.. وقال عاصفاً:

ـ بكل تأكيد لا تتوقع منا تصديق كل هذا الهراء..! روبينا لم تكن متزوجة حين صعدت إلى هذه الطائرة! تعالي إلى هنا يا فتاة.. سنذهب الى البيت.. وعلى الفور! أتسمعين؟

كادت ساقا روبينا أن تحملاها، كالربوت، إلى الأمام. لكن ذراع ليو تدخلت، لتلفها تحت حمايته مجدداً. وقال ببرود:

ـ سنذهب إلى البيت على أي حال.. لكن معي.. وبما أننا في هذا المجال من الحديث: من أنت بحق الشيطان!

إرتبك العم راندولف:

ـ أنا.. أنا.. أنا عمها بالطبع.

ردت روبينا:

ـ بالزواج فقط.

تابع العم راندولف:

ـ أنا وصيّها.. ومسؤول عن مصلحتها.

ثم، استعاد العجوز شجاعته:

ـ والآن، أطلب منك إبعاد يديك عنها.. وعلى الفور.. أتسمع؟

رد ليو متشدقاً:

ـ لدي خطط لأبقي يدي على هذه الفتاة للخمسين سنة القادمة. ثم ما الذي يجعلك تظن أنك وصي عليها؟

ـ حسناً.. أنا.. أنا متزوج من عمتها.. قريبتها الوحيدة.. تكون بهذا إبنة شقيق زوجتي!

ـ تتحدث وكأنها لا زالت تحت السن القانونية يا صديقي.. ما الذي أعطاك هذه الفكرة؟

ـ فكرة؟ بالطبع هي قاصر.. إنها في السابعة عشرة.!

علق ليو في قبضة غيظ فظيع، دون مخرج منظور.. وشاهدت روبينا اللمعان في عينيه، لكنها لم تستطع أن تترك الكذبة تثبت:

ـ لا تصدق ليو.. أنا في الثامنة عشرة.. منذ ثلاثة أشهر!

قال ليو متجهماً:

ـ وهذا ما يضع حداً لوصايتك.. هذا إذا كان لك الحق فيها أصلاً.. في الواقع، تلك الوصاية بحاجة الى إحتساب مدى وكالتك.. سيد..؟

رد العم راندولف:

www.elromancia.com

- مورغان.

وقالت روبينا لنفسها: سوف ينفجر فيه عرق دم في أية لحظة.. ومع فظاعة هذا، سأكون سعيدة جداً.

وأكمل العم:

- راندولف مورغان.. ولدي وكالة من روبينا، موقعة ومهورة بالقانون.

قال ليو:

- ورقة لا قيمة لها.. كل شيء يتغير حين تتزوج السيدة.. والآن لنعد للمحاسبة!

- أية محاسبة؟

- ألا تعرف..؟ وثيقة قانونية تقول لنا ماذا فعلت بأملاكها ومالها.. أمر بسيط.. أليس كذلك؟ وبما أنني زوجها، سأمثلها في أي أمر له هذه الطبيعة في المستقبل.. لديك محام بالتأكيد؟

كان العم لا زال يجادل أن يصخب متبجحاً للخلاص.

- لست بحاجة إلى محامي!

- بل أنت تحتاج إلى محامي، وبشكل سيء. نحن الآن في يوم الجمعة.. يوم الإثنين سأجي وقطتي سنأتي لنراجع دفاتر الوصاية.. أين أجدك؟

قاطعته روبينا.

- في مزرعة وينـدشلتر.. غربي كارليل.. إنها لي! لقد انتقلوا جميعاً للسكن فيها.. إنهم...

رفع ليو يده يسكتها في منتصف كلامها!

- إذن من الأفضل أن يستعدوا لتركها بسرعة..

دون أن ينتظر الرد من راندولف مورغان، أخذ ذراع روبينا، وقادها نحو موقف السيارات.. ووجدت نفسها، وكأنما كعب بارتفاع إنشين، مرتفع جداً.. أو كأن كتفيها ارتاحا للتو من حمل ثقيل.. وأحست بتعثرها، فحملها بين ذراعيه، وكأنها طفلة صغيرة. فجأة أحست بالتعب.. ردة الفعل كانت تستقر فيها إثر الصراع الكبير الذي كان في داخلها.. وتمتم ليو في أذنها:

- لا تدعي الأمر يؤثر عليك قطتي.

- لكن.. من الصعب أن أفعل.

لكنها أحست بالغبطة لدفئه، قوته، وطمأنينته.

كانت السيارة التي وضعها فيها من نوع ياباني غالي الثمن.. وشد لها حزام الأمان.. وهو يستدير نحو المقدمة سوّت جلستها مسنده إلى ظهر مقعدها تراقبه.. إنه لا يبدو وكأنه يسير.. يبدو طائر فوق الأرض وكأنه قطة أدغال متوحشة.. ولست أدري ما إذا كان أفادني، أم زاد الأمور سوأ؟

غاص المقعد تحته وهو يجلس:

- إنتظري لحظة.

أدار المحرك، وتركه إلى أن استقر بنعومة، ثم أدار جهاز التبريد، وما هي إلا لحظات حتى تدفق الهواء البارد رأساً نحوها، يداعب شعرها، ويهمس بأطراف فستانها.

- والآن.. أخبريني كل شيء.

دعوته كانت مُقنعة خلف إبتسامة حارة، غيرت معالم وجهه إلى

www.elromancia.com

مظهر جميل، وجاءت بابتسامة مماثلة إلى شفتيها وجعدت أنفها.. فقال متمتماً!

- كأنك الأرنب.. أخبريني.

- أتعني عنهم؟

- بل أعني أكثر، عنك، ثم عنهم وابدئي منذ البداية.

كادت تقول له «حاضر سيدي» لكنها تراجعت وكأنها تتأهب

- حسناً.. في البداية كان هنا والدي وأنا..

ولعقت شفتيها تفكر، فضحك!

- لا تفعلي هذا، تبدين كفتاة تدعو الى تقبيلها.. وماذا عن والدتك؟

- أنا.. أنا لا أفعل هذا عمدا.. أعتقد أن لي أم، لكنني لا أذكرها ماتت بعد ولادتي.. وعشنا دائماً أنا وأبي.. كان أبي جندياً في البحرية، وتعرف هذا.. وكان يملك مزرعة.. كان ضابطاً في البحرية الملكية.. يقود الهليكوبتر من حاملة الطائرات.. وحين كان يضطر إلى الذهاب في مهمات بعيدة كان يأخذني إلى دير قريب من كارليل، منطقة البحيرات الشمالية.. إلى أن يعود.. ثم تلقى الأوامر للإلتحاق بالقوات الحليفة في فيتنام.. ولم يعد.

- أوه..! وكم كان عمرك؟

- كنت في الثالثة عشر حين سافر، وفي الرابعة عشرة حين وصل الخبر أنه لن يعود.. ثم جاءت العمة لاورا.. كانت مختلفة يومها.. وأخرجتني من المدرسة، وذهبنا إلى المزرعة.

- وإلى أية مدرسة ذهبت بعد هذا؟

- لم أعد أذهب إلى المدرسة.. عشنا فقط في المزرعة العمة لاورا وأنا، إنها شقيقة أبي، أقلت لك هذا من قبل؟.. لم يكن لديها مال خاص لها.. وكانت.. حسناً سترى بنفسك.. ولم أفهم هذا مطلقاً، فوالدي كان رجلاً وسيماً، أما العمة لاورا فهي تبدو مثل.. حسناً.. كان العيش في المزرعة رائعاً.. نربي الأبقار.. هذا قبل.. وكنا سعيدان عمتي وأنا.. ثم جاء راندولف مورغان.. ونظر إلى عمتي وتزوجا.

- ألا تحبين عمك؟

- أنا.. هو.. إنه يجب أن.. يتلمسني.. تمتم من بين أسنانه:

- أوه.. اللعنه عليه! إنه من ذلك النوع!

- لم يكن الأمر سيئاً جداً.. فالمزرعة كبيرة.. لكن حين بلغت السادسة عشرة عرف بطريقة ما أن كل شيء لي، وأن عمتي لا تملك شيئاً، وهذا ما جعله غاضباً علينا معاً.. وهنا ظهر كريستوفر.

- أوه.. كريستوفر هو إبن العم راندولف إذن؟

- أجل، وكان متزوجاً منذ سنوات طويلة، على ما أعتقد.. على الأقل قال أن كريستوفر هو إبنه.

- وقرر الجميع إنك يجب أن تتزوجي كريستوفر، صحيح؟

- أجل.. وكيف عرفت؟ ضحك:

- ليس صعباً على الفهم.

- استمر بملاحقتي.. صباحاً ظهراً وليلاً: يجب أن تتزوجي كريستوفر.. عليك الزواج من كريستوفر روبينا.. ثم.. يا إلهي

www.elromancia.com

أخذ يلاحقني . . إلا أن هناك أمراً كان في صالحي كريستوفر يخاف الجياد، هكذا كلما استطعت الوصول إلى الإسطبل أنجو منه دائماً . . .

بدت تكافح لتمنع دموعها، لكنها لم تنجح :

ـ . . ثم . . قالوا إنني يجب أن أذهب إلى لندن لأوقع بعض الأوراق القانونية . . وحين أعود يجب أن أتزوج كريستوفر !

ـ ولماذا لم تختفي في لندن؟

سألت ساخرة :

ـ أختفي بماذا . . ؟

تستطيع أن ترى ما أنا عليه . . ليس لدي الشجاعة لأخرج لوحدي . . وليس لدي قرش واحد بأسمي . . أنظر إلي! كانوا يضحكون علي وينادوني بالوريثة الصغيرة، ومع ذلك أنظر . .

فتشت في محفظتها !

ـ . . معي . . عشرة، عشرين، ستة وأربعين بنساً فأين يمكن أن أهرب . وماذا يمكن أن أفعل؟ أنا لا أعرف شيئاً عن أي شيء سوى الماشية والجيلد .

ـ ولم تذهبي إلى المدرسة منذ الرابعة عشرة؟

ـ ولا يوم واحد . أقرأ كثيراً، لكن هذا لا يوازي التعليم .

سألت نفسها : لماذا لم أهرب؟ لماذا لا أستجمع ما يكفي من شجاعة لأفعل شيئاً في حياتي؟ ولماذا؟

ساد صمت متوتر بينهما، لايقطعه سوى هدير المحرك، تحركت يد ليو إلى مؤخرة عنقها، لتدلكه بلطف .

ـ يا للطفلة المسكينة !

أوه . . يا الله . . ها هو سيبدأ بالشفقة علي . . ولا أريد هذا، أي شيء ألا الشفقة . . أي شيء! افضل العودة إلى العم راندولف على الشفقة .

أحست توتراً في عضلات عنقها، فقال بلطف :

ـ لا تقاومي . . استرخي :

سألت بعد قليل :

ـ لماذا قلت هذا؟

ـ قلت ماذا؟

ـ إننا . . إننا . . متزوجان؟

ـ هاي . . كانت فكرة رائعة . . أليس كذلك؟ كان علينا أن نفاجئهم . . ويجب أن تعترفي إنها فكرة ناجحة .

إبتسمت، تفكر بالنظرة التي بدت على العم راندولف . . وكريستوفر !

ـ للوقت الحاضر . . ظننت كريستوفر سيخترق الأرض!

ثم أدركت الجانب الجدي مما جرى، وقالت :

ـ لكن هذا سيؤخر الأمور فقط . . عاجلاً أم آجلاً يجب أن أعود إلى منزلي . . وسيكون الجميع هناك . . فماذا سيحدث ساعتها؟

ـ الكثير مما سيحدث يعتمد عليك تماماً . . قطتي؟

ـ لماذا تستمر بمناداتي قطتي؟

ـ إنها قصة أخرى روبينا . . ربما سأقصها عليك في يوم ما . . لكن، أولاً، أريد أن أعلم . . ماذا تريدين أن يحدث؟

www.elromancia.com

أتريدين أن أذهب معك يوم الإثنين لأتحدث معهم مرة أخرى؟

أتريدين طردهم من مزرعتك؟ أيمكنك إدارتها من دونهم؟

ردت بصوت منخفض:

ـ انها لا تحتاج إلى إدارة.. فلم نعد نربي الماشية.. منذ أربع سنوات.. شخص ما، اكتشف الفحم في أرضنا، والمزرعة الان تديرها شركة للتنجيم، تحت الترخيص.. لنا المنزل فقط... وحوالي ثلاثمائة فدان.. والشركة تستثمر ما تبقى.. و..

ـ و.. ماذا؟

ـ هل ستذهب حقاً معي؟

ـ وهل تحبي أن أذهب معك؟

وهل أحب أصعد السلم الامامي للمنزل، واراهم جميعاً يقفون هناك، وذراعي في ذراعه؟ وهل أحب أن أراه يرعد بهم، ويجعلهم يرتجفون كما فعلوا بي دائماً؟

هل ساحب هذا؟.. ردت بسعادة:

ـ اجل.. أظنني سأحب هذا كثيراً.

ضحك:

ـ لكن هذا سيكلفك شيئاً.. هناك أجر.

ـ أنا.. اعتقد، أن هناك بعض المال باسمي في المصرف.. هذا إذا لن تأخذ مني الكثير؟

ـ اوه.. أنا أخذ الكثير قطتي.. لكنني لا أريد المال منك.. وتعرفين هذا.

ـ أعرف؟ وكيف أعرف؟ لكنني أريدك.. يجب أن تأتي معي.. وإلا لن استطيع الذهاب وحدي.. اخبرني إذن، ما هو الثمن؟

ـ أمر بسيط! أريدك أن تأتي معي إلى منزل جدتي، وأن تقضي نهاية الاسبوع هناك، مدعية أنك زوجتي.

www.elromancia.com

-٣-

القطة!

نظرت روبينا إليه بعينين واسعتين، وفمها مزموم. فجأة أصبحت السيارة باردة بشكل لا يُحتمل، وكأن الضباب يمنع أشعة الشمس.. أن أكون زوجته؟ ما يعنيه أنه يريدني أن أشاركه فراشه لعطلة الأسبوع.. وأنا من ظننته فارسي المنقذ.. هاه!

ـ أن أكون زوجتك.. لست أفهم؟

أتعرفين أن شفتاك تتحركان حين تكلمين نفسك؟

ـ هاه!

بدا من المستحيل أن تجد كلمة أخرى.. أنا متعبة! متعبة جداً.. يريدني أن أكون زوجته المؤقتة.. يا له من إسم جميل لغرض وضيع! يريد عشيقة لنهاية الأسبوع! ومثله مثل كل الكبار في السن.. يريدها شابة! يجب أن أكون غاضبة جداً لهذا.. أليس كذلك؟ لكن، لماذا لا أشعر سوى بالنعاس؟ وأذناي فيهما رنين؟

سألها ليو:

ـ أي نوع من الحبوب كانت عمتك تعطيها لك؟

كان السؤال غير منتظر. إنه آخر موضوع في العالم كانت

تتوقعه، تمتمت ناعسة:

ـ لست أدري.. هناك كل الأنواع.. منها الأبيض الصغير والصفراء، وبعض الأزرق.. لم أسأل يوماً عن الأسماء لأنني..

لن أستطيع إبقاء رأسي مرتفعاً، فعمتي أعطتني حبتان زرقاوان هذا الصباح.. ولم يعد لدي القدرة على الكلام..

ببطء، بدأت تميل إليه ما إن وصل رأسها إلى كتفه حتى كانت تغط في نوم عميق، أمسك رأسها وأرجعه إلى الوراء قليلاً ليضعه بين كتفه والمقعد، جاعلاً المقعد وسادة، وكتفه مسند، كي تستطيع أن ترتاح. تنهدت في أحلامها وإنتقلت إلى جانبه، يداها ملتفتان حول ذراعه وارتفعت قدماها إلى المقعد، ووضعتها تحتها دون وعي، بحيث أراحت ثقلها كله عليه، بوضعية نصف ركوع.. وانفرجت شفتاها قليلاً، وأخذ يستمع إلى تنفسها الرتيب. كان قد أعطى حارس الموقف جنيهين ليحضر لهما الحقائب، وأخذ يصفر من بين أنفاسه وهو يقود سيارته حتى طريق المطار، ثم إستدار جنوباً باتجاه جبال يناتيز.

نامت روبينا حوالي العشرين دقيقة، ثم استفاقت.. كانت السيارة تتأرجح فوق طريق زراعية مليئة بالحفر. للحظات، وهي مستيقظة، تنعمت بالراحة، تشد نفسها إليه.

ثم بدأت تفكر.. على الفور وجهها العاجي الوردي إنقلب إلى أحمر برّاق. فدفعت نفسها إلى فوق، وابتعدت إلى زاوية السيارة.. تمتمت بالإعتذار، وضحك ليو:

ـ لا داعي للإعتذار.. لقد تمتعت بوجودك، حتى ذراعي

www.elromancia.com

نامت معك . . أتشعري أنك أفضل حالاً؟

ـ أجل . . أين نحن .

ـ على بعد ربع ميل من مزرعة جدتي . . وعلى بعد ثمانية أميال من كارليل جنوباً . . قلت إنك لن تذهبي لوحدك إلى المزرعة؟

هزت رأسها موافقة .

ـ وتريدين أن أذهب معك لأنظف المكان من القمل . . ؟

ضحكت روبينا دون أن تسيطر على نفسها . . وأخيراً قالت :

ـ لا زال لدينا مواد تنظيف الماشية في الأسطبل . . فهل ينفع هذا للإنسان!

تنهد :

ـ أهدأي . . كان هذا خيار سيء للكلمات . . سنذهب إلى هناك يوم الإثنين . وسأبقى هناك بما يكفي لاصلح كل شيء إلى أن ترضي .

ـ وهل أنت محامي؟

ـ لا . . لكن لدي زوج من المحامين يعمل لي . . فلا تقلقي . . فلا يفصلنا عن يوم الإثنين سوى نهاية الأسبوع، وهذا ما أريد الكلام عنه .

ـ أوه . . لست واثقة أنني أستطيع دفع الثمن لك فأنا . . لا خبرة لدي في هذا المجال .

أخذت ترتجف دون وعي منها . . فصاح بها :

ـ بالطبع طفلتي .

في صوته حدة جعلت رأسها يرتفع . . أهو الغضب؟ أنا مَن مِن

المفروض أن أحس بالإهانة، وهو يغضب؟

ـ أنظري إلي . . هذا إقتراح عمل فقط . ولا شيء غيره . . أنت صغيرة جداً لي . . سيدتي الشابة!

لسبب ما تعليقه لسعها . . صغيرة جداً؟ هاه! وتركت الأنفاس تخرج بتنهيدة مجنونة، وهبطت في المقعد . . فقال بشيء من الضحك في صوته :

ـ هكذا أفضل . . والآن، روبينا . . لقد ذهبت إلى لندن لأستأجر ممثلة لدور محدد لي . لكنني لم أجد ما يناسبني إلى أن التقيتك في الطائرة .

ـ تريد ممثلة؟ لا أعرف شيئاً عن التمثيل .

ـ وهذا ما يجعلك ممتازة للدور .

ـ أوكي . . أخبرني بالأمر .

ـ جدتي في الخامسة والثمانين، تعيش في منزل قديم للعائلة يشرف على مزرعة متنامية الأطراف، يبعد فقط حتى تلك الزاوية التي أمامنا . . وهي تحتضر روبينا . . قال الأطباء أنها محظوظة لو بقيت حية إلى ما بعد نهاية الأسبوع . . وستموت مشغولة البال .

نظر إليها متفرساً ثم أكمل :

ـ لقد ربتني وأنا في المهد . . ومعي ايموجين نورث، ابنتها بالعرابة . . ولطالما توقعت جدتي أن نتزوج لكن هذا لم يناسبني يوماً . . على أي حال وجدت ايموجين لنفسها صيداً أكبر، ورحلت، إلى مكان مجهول، كما يقولون، وكان هذا منذ ثمانية سنوات، ولا زالت جدتي حزينة، وأريدها أن تموت مرتاحة

www.elromancia.com

البال، وهنا يجيء دورك.

ـ تريدني أن أجعلها تصدق أننا متزوجان، وأنني ايموجين، فهل أشبهها؟

ـ ضحك.

ـ أبداً.. لا تقلقي.. جدتي عمياء، وطرشاء قليلاً.. سأقدمك لها، وستضعين عطر ايموجين المفضل.. وسنلعب الدور بالسمع. إنها بحاجة إلى الحب.. وأنت تبدين ما تحب أن تكون ايموجين عليه.. أنت في الواقع حلم جدتي تماماً.. ما رأيك؟

لن تستطيع رفض مثل هذا الطلب، وسألت:

ـ لن يكون هناك أي... أن أكون... ليس هناك أية.. ألاعيب؟

ـ ألاعيب؟

ـ رمى رأسه ضاحكاً:

ـ لا أعرف أن الناس لا زالوا يتلاعبون بهذا هذه الأيام.. لا.. قطتي، لن يكون هناك ألاعيب.. هناك ثلاثة أشخاص آخرين من المنزل.. وخارج غرفة جدتي سيكون كل شيء رسمي.. وهذا قد يكون مضجراً!

ـ انتظرت لحظة مترددة.. لكن تفكيرها بقي جامداً..

ثم قالت:

ـ أجل.

ـ أجل.. دون لكن.. أم أجل و...؟

ـ لا.. حين أقرر، لا أتراجع أو أشترط.. أجل فقط.

ـ أشكر الله.. ماذا كنت أفعل وأنا أفتش عن كل تلك النسوة؟

وضحك لها، فردت:

ـ كنت تنتظرني لأكبر.

ـ ضحك مجدداً، وأدار اهتمامه إلى الطريق.

ما هي إلا بضعة ياردات حتى استدار حول زاوية منعطف حاد، لتجد تلة أمامهما.. ومحاط بسياج منظّم، كان المنزل، كان يرتفع على منبسط، خليط من طراز فيكتوري من النوافذ الناتئة بسقف مثلث، وجدران مائلة، وأبراج، وبعلو طابقين، وشرفة ضمنه مستديرة تلف كل شيء.

شهقت روبينا:

ـ ظننته منزل مزرعة.. لكنه يبدو كمنزل الحاكم في المدينة!

ضحك:

ـ إنه نسخة مماثلة، وبني بعد سنة من منزل الحاكم.. عام ١٩٠١.. جدي الأكبر بناه لزوجته النبيلة.. هيا بنا ندخل.

لحقت به ببطء تصعد السلم، ثم عبر الباب بأبوابه الداخلية الزجاجية.. إمرأة متوسطة العمر سوداء الشعر يخالطه الشيب خرجت من باب خلف السلم الذي يصل إلى الطابق الأعلى، وقال ليو:

ـ لقد عدنا سارة.

وقفت المرأة تخفي يديها تحت مريلتها تقول ضاحكة:

ـ يداي مليئتان بالدقيق والشوكولا، ومن هذه؟ سمعته يتنفس

www.elromancia.com

بحدة.

- إنها زوجتي سارة.. تزوجنا في لندن.. روبينا هذه سارة فالكون، مديرة المنزل.. زوجها تود وهو يقوم بكل ما هو مطلوب.

- زوجتك؟ أتعني إنك أخيراً فعلتها؟ أوه ليو.. إنتظر لتسمع جدتك هذا! أهلا بك في منزلك سيدة جيفرسون.

إمتلأت عينا المرأة بالدموع، ومسحتها بطرف مريلتها.. وقالت روبينا:

- أرجوك ناديني روبينا.. سيدة جيفرسون إسم كبير علي لا أستطيع تحمله الآن!

- طبعاً روبينا.. إنه إسم رائع.. أنت من هذه المنطقة؟

- من البحيرات.. لدينا مزرعة صغيرة هناك.

- ليو.. الأفضل أن تصعد مع مفاجئتك إلى فوق.. الممرضة جائت تأخذ وجبة جدتك منذ دقائق.. ويمكن أن أجهّز الغداء.. لنقل بعد ربع ساعة.. ما رأيك روبينا؟

فكرت، أهذا ما يفترض بالزوجة أن تهتم به؟

نظرت إلى ليو لإشارة ما، لكنه كان يبتسم لها، أحد حاجبيه مرفوع قليلاً.. فقالت:

- أوه.. هذا رائع سارة.

قادها إلى غرفة نوم فارغة في نهاية البهو، كانت الستائر مرفوعة، ونظرت روبينا حولها بعجب.. كانت الوان الأثاث ذهبي على أبيض.. والأغطية بيضاء مليئة بالدانتيل.. مؤكد أنها

ليست غرفة رجل!

سألته بحذر!

- غرفتك؟

ضحك..

- مستحيل.. والآن أين ذلك.. أوه هذا هو، وعاد إليها بزجاجة عطر، قال:

- هذه غرفة إيموجين.. تبقيها جدتي نظيفة على أمل رجوعها.. وهذا عطرها.

أخذت منه الزجاجة وهي لاتزال تتطلع حولها في الغرفة.. يا لها من غرفة نوم.. كارثة! إنها تشبه الحريم في رواية لألف ليلة وليلة، أكثر مما تشبه غرفة نوم..

قاطع ليو حبل أفكارها:

- هيا!

- هيا ماذا؟

- ضعي العطر.. فهو الذي ستعرفه جدتي على الفور.

- أضعه؟

- هيا الآن.. لا تقولي إنك لم تستخدمي عطراً من قبل!

- حسناً جداً.. لن أقول لك هذا.

أرادت أن تصيح به: هذا صحيح! أنا لم أستخدم عطراً من قبل.. ولا أعرف كيف أفعل.. وأنتظر بفارغ الصبر لحظات ثم أخذ منها الزجاجة، وفتح الغطاء.

- هكذا..

www.elromancia.com

وضع القليل على معصميها، وعلى عنقها، وخلف أذنيها.. ثم تراجع ليعرف النتيجة..

ـ حسن جداً.. رائحتك رائعة.. تذكري أنت أيموجين وهي عرابتك.. وأنت غائبة منذ ثماني سنوات.. مستعدة؟

تمتمت:

ـ لا أظنني ساكون مستعدة أبداً.

ابتلعت يده الضخمة معصمها، وجرها إلى الممر.. ثم إلى ثالث باب بعد السلم.. إنفتح الباب وخرجت منه إمرأة صغيرة الجسم مستديرة ترتدي ثياب الممرضات إبتسمت تهمس:

ـ لقد أنهت الغذاء لتوها.. بإمكانك زيارتها لربع ساعة. لا أكثر.. لقد تناولت حبوبها المهدئة.

همس ليو:

ـ لدي الدواء لهذا.. روبينا هذه الممرضة بوكستون. سيلا لا موفانها.. سيلا هذه زوجتي روبينا.

إنقلبت إبتسامة الممرضة إلى ضحكة عريضة.. وخرجت إلى الممر تغلق الباب ورائها، وصاحت:

ـ رائع.. عظيم! هل هي التي تدعوها القطة.

ـ هذه هي.. لماذا لا تذهبي لتناول الغذاء، ولنرى أي نوع من المعجزات ستفعل هنا.

أدار ليو مقبض الباب وأشار إليها لتدخل، فهمست:

ـ إذن.. هذا هو السبب؟

ـ سبب ماذا؟

ـ سبب إستمرارك بمناداتي قطتك.. كان هذا إسمها!

ـ أجل.. هو الإسم الذي يستخدمه الجميع لها.

قالت بشراسة:

لا تناديني هكذا مرة أخرى.. أبداً!

ـ لماذا؟ أعتقد أنك تغارين!

ـ لا.. لكن لا يجرؤ أبداً على مناداتي هكذا!

مصباح صغير إلى جانب الفراش، كان يوفر النور اللازم.. رائحة الزهور تملأ الجو... السرير كان من النوع القديم بأربعة قوائم مرتفعة، مرتفع على حجارة ليصل إلى إرتفاع سرير المستشفى.. والجسد الصغير النحيل المريض كان يقبع في المنتصف تقريباً، والظهر والرأس مرتفعاً من على وسائد مزدوجة.

شهقت روبينا.. لقد تربت دون أن ترى عجائز حولها، وتأثرت فوراً بنحول المرأة.. وقال صوت مرتجف:

ـ من هناك؟

ـ هذا أنا ليو.. جئت معي بمفاجئة لك.

ـ ليو.. أنت مفاجئة تكفي.. ما هذه الرائحة؟ ياسمين؟ ليو؟

ـ أجل حبي.. لقد عادت.. قطة جدتي عادت.. وهذا نصف المفاجئة..

غريب هذا الحنان في صوته.. يا مكان المر، الإحساس بالحب المداعب فيه... تركته اليد الممسكة به، تمتد في الهواء:

ـ نصف المفاجئة؟

www.elromancia.com

إمتدت يد روبينا تلاقي يد العجوز فامسكتها وابتهجت كلتا اليدين تفتشان يدها . . ثم قالت :

ـ قطتي . . ! لقد مضى زمن طويل . . ! أستطيع الأن أن أموت بسلام . . قطتي . . أنت تضعين خاتم أمي . . ؟

أنت وليو؟

قال :

ـ أجل . . أنا وإيما . . أيجعلك هذا سعيدة جدتي؟

تدحرجت دموع صغيرة من تحت العينين المغمضتين ، على الخدّين المسحوقين . . وتمتمت العجوز :

ـ الله طيب معي .

ثم صمتت . . فهمس ليو في أذن روبينا :

ـ لقد نامت . . هكذا هي دائماً . . من الأفضل أن ننزل لتناول الغداء .

لكن العجوز تحركت مجدداً :

ـ لا . . لقد مضى زمن طويل . . إبقي معي قطتي .

تمتمت روبينا :

ـ طبعاً . .

ذكرى ما . . أحساس ما . . عاطفة ما ، دفعتها لأن تميل فوق السرير وتقبل الخد المبلل بالدموع .

ـ بالطبع سأبقى . . . إذهب أنت وتناول الغداء . . سأبقى هنا طالما تحتاج إلي .

ـ ستعود سيلا بعد حوالي الساعة . . فانزلي حين تصل .

ـ إذا أرادت جدتك .

عادت الممرضة عند الواحدة . . لكن نوم المريضة المضطرب لم يسمح لروبينا بالفراق . هكذا كانت الساعة الثالثة حين تمكنت روبينا من النزول عن السلم لتجد طريقها إلى غرفة الجلوس حيث يجلس ليو ، منتظراً .

قال بنفس الصوت المحب المداعب :

ـ شكراً لك روبينا . . لقد نجحنا . . جائعة؟

ـ أظنني أكاد أموت جوعاً .

دخلت سارة تحمل صينية قهوة وطبق سندويشات .

ـ قهوة؟

ردت روبينا دون وعي :

ـ لا . . حليب .

وابتسما لبعضهما من فوق رأسها . وقالت سارة :

ـ حليب طبعاً . .

وعادت إلى المطبخ تغني . . وابتلعت روبينا سندويشين متتاليين . وشربت الحليب بعطش ، والتفتت الى ليو :

ـ لديك بعض الحليب على ذقنك . . . تعالي . . ستتمشى في المزرعة قليلاً . . تحتاجين الى القليل من التمرين .

أخرجها من الباب الخلفي إلى عالم مليء بالخضرة ، خطف أنفاسها حقول منفصلة بسياجات بيضاء من الخشب ، تمتد في كل إتجاه في أحدها عدة أفراس ، كل منها مع مهرها الصغير ، ترعى بكسل . . في البعيد ، يرتاح تحت ظل شجرة سنديان ضخمة فحل

www.elromancia.com

أبيض لماع . . وأسر اهتمام روبينا الأرض والحيوانات معاً:

ـ لست أفهم . . كل هذه الخضرة . . وهذه الجياد الرائعة . . ! كأنها جياد عربية؟

ـ لهذا بنى جدي المنزل على التل، وأقام مزرعته هنا. ولدينا هنا نبع ماء صافي. : وهذه بالفعل عربية، لكنها مؤصلة مع الإنكليزية.

ـ إنها جميلة جدا . . إذن هذا ما تعمل به لتعيش؟

ضحك:

ـ لا تقولي هذا بصوت مرتفع . . فهناك جاسوس من جمعية المحافظة على السلالات الإنكليزية خلف كل شجرة في هذه الأيام. في الواقع تربية الجياد المطعمة بالعربية تعد تهربا من دفع الضرائب على الجياد الإنكليزية، أفهمت.

لم تفهم . . لكنها كرهت أن تقول له . . وسألت:

ـ لكن أنت؟

ـ مع القليل من التركيز، والكثير من الخطر . . أستطيع أن أجني المرابح . . لا سيدتي . . أنا أكسب عيشي في المدينة . . لدي مبنى صغير في كارليل قرب الجامعة . . كل ما هو هنا ملك جدتي . . ما عدا الجياد . . تعالي لننزل إلى الإسطبل ونتفرج عليها.

تناولا العشاء معا تلك الليلة، جنبا إلى جنب على طاولة ضخمة مستديرة تملأ غرفة الطعام. وقال لها لدى سؤالها أن للطاولة عشرون مقعدا، وكان العشاء لحم ستيك، بطاطس مهروسة وفطائر . . وأحست بالسعادة لكونها السيدة جيفرسون . . لا

عجب إذن أن اندفعت العمة لارا للزواج! في منتصف الطعام، سألت ما إذا كان يجب أن تأخذ حبوب الدواء الآن . . وسقطت شوكته من يده، ومال نحوها، وقال هازئا:

ـ لا أظنك بحاجة إلى حبوب!

ـ أوه . . لكن عمتي لاورا تقول أنني فائقة الحساسية وإنني أتصرف على هذا الأساس وأن علي أن آخذها، كما أنني أحس إحساسا غريبا . .

ـ يكفي من هذا الموضوع.

وبالطبع ضحكت، وأخفضت رأسها إلى طبقها محاولة الإختباء خلف شعرها الكثيف . . صحيح إنه يزأر بكلامه الراعد، لكنه بطريقة ما لا يخيفها، كما يخيفها العم راندولف . . ربما كل الرجال يزأرون بنسائهم . . فسألهم؟

يا لها من فكرة جميلة، وكافحت كبح إبتسامة.

بعد العشاء أعادها ليو إلى الطابق الأعلى، وإلى الغرفة المعتمة . . كان هناك ممرضة جديدة في الخدمة رفعت إصبعها إلى فمها تسكتهما قائلة:

ـ إنها نائمة . .

جاء صوت حاد من السرير:

ـ لا . . إنها ليست نائمة . . قطتي . . تعالي واجلسي قربي. ليو هل أنت هنا؟

ـ أجل جدتي.

ـ ليو . . خذ نفسك والممرضة الطيبة، واذهب إلى جيادك أو

www.elromancia.com

إفعل شيئا . . أريد الحديث مع قطتي على انفراد .

ابتسم لروبينا ، وهز كتفيه :

ـ أوكي ، أنا والممرضة خارجان ، لربع ساعة فقط ، ولا لحظة أكثر .

صاحت العجوز ، وشبح ابتسامة على وجهها المتعب :

ـ هيا . . والآن يا فتاتي . . لقد رحلت لفترة طويلة قطتي . . حتى كدت أيأس . .

مالت روبينا بعد تفكير :

ـ كنت بحاجة إلى وقت للتفكير . . كان الجميع يدفعني و . .

ـ أعرف يا فتات . . للزواج من ليو . هذه غلطتي . . لكنكما الآن فعلتما هذا ، ويجب أن تجهدي لجعله سعيدا . . إنه يجهد نفسه لأسعاد من يحب . عديني !

كنتم تدفعونها للزواج من ليو ؟

كما تدفعني العمة لاورا للزواج من كريستوفر ؟ أهكذا يجري الأمر دائماً ؟

هل كنت مخطئة طوال الوقت ؟ أكنت أظن أنني الوحيدة ؟

لكن كم من الدفع كان يلزمهم لأتزوج ليو ؟

همس الصوت من السرير ليعيدها إلى واقعها :

ـ إنه رجل طيب . . كلنا نعتمد عليه ، ولا أحد يساعده .

بدا أن قوة العجوز أخذت تتلاشى ، وأنفاسها تتسارع . .

ضغطت روبينا على يدها بلطف :

ـ أعدك . . طوال حياتي .

تنهدت العجوز بارتياح . . ثم تراخت يدها ، والإبتسامة على وجهها . . لكنها لا زالت تتنفس . . عادت روبينا إلى الكرسي ثانية متهالكة ، تمسك بيدها ، وتردد كل الصلوات التي تعلمتها في الدير وهي صغيرة . وعادت الممرضة بصمت لتنظر بدقة إلى المريضة ، وقالت هامسة :

ـ لن تستيقظ قبل الصباح . . بإمكانك الذهاب للنوم .

كان ليو ينتظرها في الردهة الخارجية أمسكها بمعصمها يجرها خلفه وهو يسير بسرعة :

ـ لدينا مشكلة صغيرة . .

شهقت :

ـ أية مشكلة صغيرة ؟ هل بامكانك أن تبطىء سيرك ؟

توقف :

ـ أوه . . يجب أن تذكريني دائما . : صحيح إنك طويلة كفتاة ، لكنني أنسى مسألة الساقين القصيرتين .

ـ الأمر لا يتعلق بساقي . . بل بالتنورة .

فتح بابا ، ودفعها إلى غرفة .

ـ كنت أعرف أن لا عيب في ساقيك ، فهما أول ما لا حظته ونحن في الطائرة .

صاحت متوترة :

ـ توقف عن الغزل الهراء . . قل لي ما هي المشكلة .

فجأة لاحظت على طاولة صغيرة قرب السرير ، ثلاثة حقائب ، حقيبتين له وحقيبة لها ، وأحست بالبرد . . رفعت نظرها إليه . .

www.elromancia.com

فقال:

- إنهم الخدم.. حين يربونك.. يميلون إلى إملاء أوامرهم عليك.

- وهل نتشارك الغرفة؟

- تقريبا.. وليس واقعاً.. لكن يجب أن نعطي هذا الإنطباع، وإلا لوصل تلميح إلى الجدة بطريقة ما.

كان في الأمر شيء أعطاها فكرة عن القرار، أو ربما شيء من فيلم قديم.. على أي حال تنوي البقاء على حذرها، وأن لا تعطيه فرصة..

- حسنا.. وماذا؟

- علينا أن نعطي الإنطباع بالقصة أن الغرفة مسكونة مع إنني سأتسلل وأنام في غرفة أخرى ليلا.. أوكي؟

- هذا يتوقف..

- على ماذا؟

- على كم من المفروض أن تظهر بأن هذه الغرفة مسكونة.

سأدخل الفراش، وقم أنت بما عليك أن تمثله، وأخرج من هنا.

إبتسم إبتسامة مصطنعة كبيرة:

- حسنا. الحمام هناك إلى يسارك.

مع إقفال الباب، تنعمت روبينا بحمام ساخن.. ودهنت نفسها بسائل الحمام فيما بعد.. في حقيبتها، تملك قميص نوم واحد، قطني طويل حتى الأكعاب، ترتديه باستمرار منذ ثلاث

سنوات، وأصبح تقريبا ضيقا عليها.. خاصة حول كتفها، وصدرها.

كانت أنوار غرفة النوم مطفئة، لكن أنوار الليل تسير إليه، وجذبت أطراف الغطاء لتتسلل إلى نعومة رائعة.. فراشها في منزلها كان كلوح خشب.. وهذا الفراش يغوص ويرتفع لينخفض كل حنايا الجسم.. استلقت على ظهرها، ومددت ذراعيها إلى الجانبين، فرحة... تنعمها استمر بما يكفي كي تسجل أصابع يدها اليسرى، إن شخصا آخر يشاركها الفراش!

جلست بحيرة، تتمسك بالأغطية، متوترة لدرجة الصراخ.. لكن يد ليو الضخمة ختمت فمها، وقاومته، لكن وزن الأغطية أعاقها وقال:

- هاي.. قلت لك إنه يجب أن يظهر هذا حقيقيا!

أفلتت من قبضته ووضعت قدميها على الأرض وصاحت به:

- لا حاجة لان تبدو بهذه الواقعية.. ماذا تظن نفسك تفعل؟

رد بلهجة لاذعة:

- أحضر المشهد.. يا إلهي، لماذا جئت بطفلة لأجل هذا؟

طفلة.. يا ربي! لقد سئمت من مثل هذا التصنيف! إنها أبعد ما تكون عن طفلة.. اللعنة عليه! سأريه! طفلة!

أعادت قدميها الى السرير وتمددت ثانية تحت الغطاء.. وقالت:

- حسن جداً، وما هي التمثيلية التالية؟

- علينا أن نتقلب، نقترب، نبعج الوسائد، وكل شيء كهذا.

www.elromancia.com

- ثم تخرج؟

- أجل.

- حسناً، إبدأ بالتقلب.

إنتهت كلماتها بشبه إختناق، بعد أن تقلب والتصق بها، وهمس في أذنها، ويده على معدتها:

- والآن دورك.

- دوري في ماذا؟

ضحك:

- التقلب، الإقتراب، ضعي ذراعيك حولي.

عضت شفتها، وهمست بحدة:

- من الأفضل التأكد أن كل هذا ضروري.

لم يرد، فقالت لنفسها! تقلبي إذن! استدارت نحوه تحس بدفء بشرة عادية على جسدها.. شهقت، وكادت تتراجع، إلا أن ذراعاه أمسكتا بها تلفانها. بالتدريج، مررت إصبعاً نحوه.. لا شيء سوى بشرة عادية..

يا الله! ماذا سأفعل؟ لا شيء تعلمته أبداً حضّرها لهذا.. ذراعاه كانتا تحبسانها، وبشكل غريب أحست بالتمتع! تحركت قليلاً، لكن حركتها جعلتها تتلامس أكثر معه..

كان دون حراك.. نائم؟

حبست أنفاسها، محاولة سماع أنفاسه.. كان يتنفس بعمق، وبقليل من الصوت.

طويل يومها، وتعبة، بدا يتملكها.. المكان دافيء..

وتنهدت. دافيء.. مريح.. لذيذ.. وما الضرر إذا كان نائماً؟ إلتصقت به أكثر، وثقلت أجفانها، وسقطت في نوم عميق.

استيقظا معاً، على دق الباب.. ودخلت سارة، دون دعوة، ودون أن تجفل من منظر تقاربهما.. كانت الشمس تتدفق من النوافذ، مشعة بوعد يوم جديد مشرق.. طيور الصباح الباكر كانت قد بدأت عملها الجاد.. والريح الخفيفة تملأ الغرفة بالعطر.. قالت سارة:

- الطبيب هنا.. وأعتقدت أنك تريد أن تسمع منه شيئاً.

أشارت سارة برأسها، فدخل رجل مسنّ أبيض الشعر إلى غرفة النوم.. يا إلهي، وغاصت روبينا تحت الغطاء.. ألا يكفي أن تُضبط في فراشه، بل يجب أن يكون هذا المكان اللعين كمحطة قطار!

- دكتور فولكنر؟

ما الأمر؟

- اتصلت بي الممرضة منذ ساعات.. لقد دخلت جدتك في غيبوبة. قد تستمر يوماً أو اسبوع.. ويمكن لوقت أطول. وعليك تقبل واقع إنها قد لا تستفيق أبداً.. يجب أن أذهب، لقد أعطيت الممرضة تعليماتي.

رافقته السيدة فالكون خارج الغرفة، والتفتت عند الباب قبل أن تغلقه!

- من الأفضل لكما أن تتناولا الفطار، فهو جاهز بعد عشرين دقيقة.

www.elromancia.com

أطلت روبينا برأسها من تحت الغطاء بخوف..

- ظننتك قلت إنك ستنام في غرفة أخرى.

- يبدو إنني غفوت.. أرجو أن لا يكون هذا أزعجك؟

- لا.. لا.. أبداً.

لن تقول له أبداً أنها استيقظت في الثالثة صباحاً، لتجد يده تلف خصرها، ولتحس بمشاعر لم تفكر بها من قبل.. فمن السوء ما يكفي إنها لم تتناول حبوبها.. لكن هذا.. فوق كل شيء؟ لن تخبره أبداً!

- ٣ -

زوج للايجار

كانت الساعة التاسعة من صباح الإثنين حين خرجت السيارة الكبيرة من كارليل متجهة شمالاً.. وقالت روبينا تعطي التوجيهات..

- المزرعة على بُعد عشرة أميال من هنا، هناك لوحة صغيرة، عليها إسم مزرعة ويندشلتر.

لم يرد عليها. فهذا كان حاله منذ تلقى خبر غيبوبة جدته، وأن عمته ستأتي إلى منزل الجدة، وقال لها إنه يريد إخراجها من هناك، كي لا ترتاب العمة بشيء.. لماذا يريد التخلص مني؟

ليعيدني إلى عمتي لاورا.. ويهرب؟.. لا ألومه إن فعل هذا.. فلو ساعدت جدته فلأنها تستحق، لا شيء أكثر. وإن كان قد أمضى الليل كله في فراشي.. فلا شيء حدث.. اليس كذلك؟ كان هذا هو السؤال الذي أقلقها طوال الرحلة للخمسين ميلاً من هيل سايد، منزل جدته، الى ويندشلتر.

بالرغم من أن منشئات المناجم كانت تبدو من مسافة بعيدة، إلا أن المنزل بدا وكأنه لم ينال قرشاً واحداً للتصليح، منذ سنوات

www.elromancia.com

عديدة. والأرض الواسعة، حتى القريبة من المنزل، والتي بالكاد تحتفظ بالعشب الخشن، تبدو متحضرة لأن تعبث بها الريح.

قالت تعتذر:

ـ ليس مكاناً جيدا جداً.

رد:

ـ كل ما يحتاجه بعض العمل. عمل ومال وبعض الماء لا بد من وجود مياه جوفية هنا.. فهناك كل أنواع الوديان إضافة الى البحيرات القريبة.. هل هذه عمتك؟

تنهدت:

ـ أجل.

إستدار ليو ليفتح لها الباب.. نزلت تجر ساقيها على المرثة.. تقول لنفسها وهي تصعد السلم الى الشرفة الأمامية المسقوفة، سدى أذنيك.. فأول إنفجار من آل مورغان قد يعيدك الى لندن.. لكن، ويا للعجب، لم يحدث إنفجار.. حين وصلت الباب، كانت العمة تقف جامدة والدموع تتدحرج على وجهها، وصاحت روبينا:

ـ عمتي لاورا!

ردت العمة بصوت متحشرج:

ـ لقد رحلا.. روبينا.. أخذا ثيابهما ورحلا.

ـ أتعني العم راندولف؟

ـ أجل.. ماذا قلتي لهم روبينا! ماذا؟

تدخل ليو:

ـ لم تقل شيئاً، أنا الذي قلت الكثير.. هل سنبحث هذا الأمر على الشرفة؟

قالت روبينا:

ـ أدخل..

رفعت العمة رأسها مصدومة، فقالت روبينا ببرود:

ـ إنه منزلي.. واستغرقني زمن طويل لأدرك هذا.. إنه منزلي.. أدخل ليو.

دخلوا غرفة الجلوس.. وبنظرة جديدة مفتوحة رأت إنها غرفة صغيرة.. أثاث عتيق، يكاد ينهار، بساط مهترىء، ستائر قذرة.. ونظر ليو حوله لكنه لم يعلّق، وجلس على أكبر مقعد، دون دعوة.. وجلست العمة متصلبة على طرف كرسي مستقيم الظهر، تقول:

ـ وأنت زوج روبينا؟

كان في صوتها شيء من التحدي، لكن مجرد لمسة خفيفة.

ـ أجل.. هذا أنا.. روبينا.. أيمكن أن تحضري لي فنجان قهوة بينما أتحدث الى عمتك؟

ـ أنا.. أفضل..

كانت تريد القول أنها تفضل البقاء والإستماع، لكن حاجباه ارتفعا، وعلى وجهه تلك النظرة المهيبة، التي دفعتها الى التقهقر الى المطبخ، لكن دون أن تغلق الباب خلفها. وارتجفت يدها وهي تضع القهوة على النار.

قال:

ـ الآن.. أولاً.. ستتخلص من فكرتك بأنك الوصية على روبينا.. لقد بلغت السن القانونية، حسب القانون. ولم يعد لك سلطة عليها.

ـ لكنها أعطتني سلطة الوكالة.. موقعة قانونياً.

ـ مزقيها.. فبعد أن تزوجت، الورقة لم تعد تساوي قرشاً واحداً. هذا الصباح وقعت وكالة أخرى تبطل وكالتك، وبأسمي، وبما أنني زوجها، فلدي حقوق قانونية أخرى، من بينها سيدة مورغان، الحق في طلب المحاسبة. أين سجلات أملاكها لآخر سنتين؟

ـ راندولف.. لقد أحرقها ليلة أمس.. و.. يا إلهي.. الصندوق الحديدي!

ـ أي صندوق؟

ـ كنا نجمع فيه مال الإستثمار من تركة المناجم.. قال راندولف أن هذا أفضل، بدل أن نضعه في المصرف.

سألها ليو بسخرية:

ـ أراهن أنه فعل هذا.. أين الصندوق؟

ـ في مكتبته.. سأحضره حالاً.

ـ سآتي معك.

مدت روبينا يدها الى خزانة المطبخ، تقف على رؤوس أصابع قدميها، لتصل الى الفناجين، وما أن تمطت الى الزحد لها، حتى بدأت يديها ترتجف، وأحست بألم في معدتها.. تبع هذا إحساس بالغثيان، ثم إحساس بالضعف، ووقعت الفناجين من يدها،

ولحقت بها.

حين استفاقت، وجدت نفسها مستلقية على الأريكة في غرفة الجلوس، رأسها على ركبة ليو، ويده تمسح بحنان جبهتها بقماشة مبللة:

ـ ماذا حدث؟

ـ لست أدري.. كنت آخذ الفناجين من الخزانة وأحسست بالغثيان، ثم.. لست أدري.

توقفت يده الضخمة على جبهتها، ثم قال:

ـ لا أظن لديك حمى.

ونظر إلى عمتها، التي لم تكن يوماً ماهرة في إخفاء مشاعرها، وبدا على وجهها نظرة الذنب.. وسألها بصوت أجش بارد:

ـ هل رأيت مثل هذا يحدث لها من قبل؟

هزت العمة رأسها، ومدت يدها الى جيبها لتخرج منديلاً.. حين سحبته وقعت منه حاوية بلاستيكية صغيرة من الأقراص، وتدحرجت حتى منتصف الغرفة. والتقطها ليو قبل أن تتحرك العجوز.

صاح راعداً:

ـ يا إلهي! أهذا ما كنت تعطيه للطفلة؟ حبوب منومة؟ من هو الطبيب الذي وصفها لها؟

بكت العمة:

ـ لا يوجد طبيب.. راندولف اشتراها.. له أصدقاء في كارليل. كانت الفتاة سريعة الإهتياج، وعلينا أن نهدئها.

www.elromancia.com

ـ أجل . . أراهن على هذا . .

لسانه كان ينقط بلؤم مرير جعل العمة تقفز عن كرسيها وتتراجع حتى النافذة، وأكمل :

ـ ومنذ متى تعطونها هذه الأقراص؟

ـ منذ . . سنتين .

ـ لا عجب إنها مريضة . . ! فهذه أعراض الإمتناع عن تناول المخدر . . اللعنة عليكم جميعا . . أين الهاتف؟

هنا . . أغمضت روبينا عينيها، كانت تسمع أصواتا، وكلمات لا تنتهي . . أحست بمن يحملها الى غرفتها، وينزع عنها ثيابها، ويدخلها الى السرير . لكن، عدا هذا لا شيء تعيه . وتابعت الأصوات وصولها من بعيد . . صياح ثم بكاء، ثم على التوالي سيارات تصل، أخيرا هدير طائرة هليكوبتر .

وبعد وقت قصير من هذا أحست يدين باردتين تتفحصان جسمها، تتلمسان عظام صدرها وظهرها، وضوء في عينيها، ووخزة إبرة في جنبها . . ثم هدأ كل شيء، ونامت .

كان ليو يجلس على سريرها حين استفاقت، فمها جاف ونظرها مغشى . . ابتسمت له بضعف :

ـ يبدو إنني أسبب لك المتاعب باستمرار .

نظر إليها، وكأنه يفتش عن شيء . . وقال :

ـ جئت بطبيبي الخاص من كارليل، وقال إنك تمرين بأعراض الإمتناع عن المخدر . . نوع من التسمم . . أعطاك حقنا منومة، وفيتامينات .

ـ وماذا أفعل الآن؟

ـ هذا يتوقف على مدى قوتك قطتي . . أعني روبينا . . أتستطيعي التحمل بشكل مباشر؟

ـ لست أدري . . هل أستطيع؟ ماذا يمكن أن أتحمل بشكل مباشر؟

ـ إذا كنت قادرة حبي، فالأمر سيكون صعبا . . لكن كل ما عليك هو الإلتزام بصوم أخذ الحبوب لأسبوعين ثم تتحرري منها .

ـ وإلا؟

ـ وإلا : ستة أسابيع في المستشفى لمعالجتك منها . . وهذا خيارك .

تنهدت :

ـ سأتحملها مباشرة، صحيح أنني لست شجاعة، لكنني سأحاول .

ـ هذه فتاتي! أفضل ما تفعلين هو البقاء مشغولة وإفراغ معدتك ، نسبيا .

ـ وماذا حدث غير هذا؟

ـ ليس الكثير .

جلست على السرير .

ـ قبل أي شيء، لا تأخذي الأمر بجدية وخطورة . . لكن ما عرفته، إنك مفلسة . عمك راندولف هرب بكل المال الذي في الصندوق . . ولا نعرف كم هو المبلغ . إتصلت بشركة المناجم

www.elromancia.com

لأطلب منهم كشفا لحسابك . . على الأقل هكذا سنعرف كم سرق منك .

ضحكت له :

ـ أنت تخدعني ليو . . إتصلت بالشركة أكثر من مرة . . ورفضوا إعطاء أحد شيء . أتتوقع مني أن أصدق أنك أخذت الهاتف هكذا و . .

ـ ملعون أنا إذا لم يكن هذا ما فعلته . . ربما ظنوني شخصا آخر ، لأنني حصلت على خدمة فورية . . ما رأيك بهذا؟

ـ حسن . . ربما صدفة . . ثم ماذا؟

ـ ثم اتصلت بالشرطة المحلية ، واتهمت عمك بالإختلاس ، وجرائم أخرى ، ثم كلفت محاميا لدراسة مسألة إعطاءه لك أدوية مخدرة دون ترخيص ، وأشياء أخرى .

ضحكت :

ـ واو . . ! أيمكن أن تفكر بأسباب لاعتقال كريستوفر أيضا؟

ضحك بدوره :

ـ لا أصل الى هذا بعد . . ما رايك بمحاولة الزواج بنوايا سيئة؟

ـ والعمة لاورا؟

ـ هذا ليس من شأني روبينا . . عليك أنت أن تقرري . . إنها سيدة مسكينة ، ولا مكان لها تلجأ إليه . . أتريدينها أن تُعتقل؟

ـ يا إلهي! لا ليو! قبل مجيء راندولف كانت طيبة معي لا يمكن أن أسمح بهذا لشقيقة أبي الوحيدة . . دعها هنا معي .

هز رأسه مبتسماً . . وفكرت روبينا ، يا له من رجل رائع! الن

يكون زوجاً رائعاً لفتاة محظوظة؟

وقالت مترددة :

ـ أعتقد أن عليك العودة .

ـ في يوم أو يزيد ، ستأتي لك بمجموعة ممرضات . ومدبرة منزل مؤقتة . . لكن ، الى أن يصل الجميع سأبقى هنا . . أوكي؟

وبقي هناك ، ممضياً أول ليلة يهدئها ، يهرع بها الى الحمام حين تأتيها نوبة القيء ، وغيّر لها ثوب نومها مرتين . . يجفف لها عرقها . . حين وصلت الممرضتين في اليوم التالي ، تابع الإشراف عليها في أيامها الأولى التعيسة . . حين كانت لا تستطيع أن تأكل ، مع ذلك لا يمكنها التوقف عن الأكل خوفاً من ألم معدتها الفارغة . وجاء الطبيب مرتين وحقن فيتامينات أخرى . . وتعاطف كبير .

هكذا مع إنتهاء الأسبوع الأول ، والسماح لها بمغادرة غرفتها ، بدا لها من المناسب أن تتناول معه الفطار في المطبخ ، هي في روب النوم تشرب الشاي وهو ببنطلون وقميص قصيرا الأكمام يقرأ صحيفة الصباح .

أسست نوعاً من السلام المتثاقل مع العمة لاورا والعمة ، المثقلة الضمير بعقدة الذنب ، حاولت جهدها أن تعوض لها ما فات .

في نهاية الأسبوع الثاني ، خرجت روبينا تتمشى حول البيت مع ليو ، سعيدة أن ترى أن أحداً اهتم لها بفرستها العجوزة القصيرة . . وقفا قرب الأسطبل ، وتقدم منها خطوات ، الى أن أصبح وجهه على بعد أنشات من وجهها فمه عريض بابتسامة

www.elromancia.com

تكشف عن غابة أسنان مستوية بيضاء.. وقرّبها منه قليلاً، يلف ذراعيه حولها، حتى لم يعد يفصلهما سوى قماش قميصه القطني وبلوزتها الرقيقة.. سحب ليو نفسه بحدة.. واجفلت روبينا بالملامسة حتى إنها لم تعرف ماذا تفعل.

رفع ذقنها بإصبعه، وركز نظرة على عينيها، ثم همس:

ـ ما الذي جعلني أعتقد أنك طفلة؟

أخفضت رأسها، وتركت شعرها يغطي وجهها.. فاشتدت يداه عليها، ثم تركها. فتراجعت عنه.. ثم قال:

ـ أظن من الأفضل أن تعود.. فقد يتعبك كل هذا.

أدخلها المنزل، سلمها الى عمتها، ثم اختفى في غرفته.

وقت العشاء.. بدا لها رجلاً مختلفاً، بارد، متحفظ.. أجرى ثلاثة مخابرات قبل أن يجلس الى مائدة الطعام.

قال لها بهدوء:

ـ سأبلغك آخر الأخبار، الشرطة وافقت على مراقبة المنزل لبضعة أيام في حال ظهور أحد من أسرة مورغان.. وعقدت اتفاقاً مع شركة التنجيم لدفع الدفعة الربع سنوية مقدماً.. سأضعها في مصرف بريطانياً في كارليل، نصفها حساب جاري والنصف للأستثمار وبإمكانك بدء سحب المال في الثامن عشر من الشهر.

ـ هل لي أن أعرف المبلغ.

ـ الدفعة الربعية تصل الى سبعة وثلاثين الف جنيه.

وقعت الملعقة من يدها لتضرب طرف طبق الحساء.. عبر الطاولة، بدأت العمة لاورا بالبكاء، دموع هادئة دون صوت،

وأخذت تنهمر على طبقها.

في الثامنة مساءً، مع آخر أنوار متبقية من الغروب، سمعت هدير طائرة هليكوبتر، حطت في الساحة بين البيت والإسطبل.. ودخل ليو المطبخ حيث روبينا، وأخذها الى الخارج.. حقيبته في يد، ويدها في يده الأخرى في منتصف الطريق.. رمى حقيبته والتفت يواجهها:

ـ لم أشأ أن تسمع عمتك ما سأقول.. مررت بأروع اسبوعين، مختلفين تماماً عن روتين حياتي.. والآن يجب أن أرحل. وأشكرك من أعماق قلبي على ما فعلته لأجل جدتي.. وهذا يعني أكثر مما أستطيع أن أقول. ولقد فرحت كثيراً، بوجود مثل هذه الزوجة الجميلة. في يوم ما.. ستلتقين رجلاً، سيستقبلك كزوجة حقيقية. وسأقرأ الخبر في الصحف.. حظ سعيد، ووداعاً.. قطتي..!

قاومت روبينا لتبقى الإبتسامة على وجهها، بالرغم من واقع أن قلبها كان يتفتت.. أجل سأكون زوجة رائعة لشخص ما.. سأكون لك زوجة رائعة.. لكنها لم تجرؤ على قول هذا.. أرادت أن تصرخ: أنت لست كبيراً جداً عليّ! قد أكون صغيرة جداً، ولكنني سأكبر.. لو أنك فقط تعطيني الوقت اللازم!

لوّح لها وهو يتجه الى الهليكوبتر، وصفق الباب وراءه وانطلقت عامودياً فوق المزرعة.. ورحل، متحولاً من رجل محب حنون، الى نقطتين مضيئتين في السماء.

بعد اسبوعين من رحيل ليو، إنهارت العمة لاورا.. حين

www.elromancia.com

عادت روبينا من جولة حول المزرعة تتذكر أماكن طفولتها التي غابت عنها في السنوات الأخيرة المخدرة.. وجدت العجوز محنية فوق طاولة المطبخ تبكي من كل قلبها، وصورة العم راندولف وسط الطاولة.. تقدمت تبدي تعاطفها، وتسأل:

ـ أكنت تحبينه؟

ـ رفعت العمة رأسها:

ـ للحب علاقة بالأمر، لكنه لم يحبني.. لقد أحب المزرعة والمال، لكنني أظن أن هذا أمر عادي، فأنا كذلك لم أحبه!

ـ لست أفهم، لماذا تزوجته إذا لم تحبينه إذن؟

ـ لن تفهمي روبينا.. أنت شابة جميلة، بينما أنا مرت بي الحياة.. ليس لي أي شيء تحلم به النساء الأخريات.. منزل، أولاد، حب. أردت كل هذا، ولم أهتم بالحب كثيراً.. لفتاة جميلة مثلك، هناك دائماً رجل جميل بالإنتظار لكن لأمرأة مثلي..

مسحت يدها وجهها المجعد:

ـ يجب أن تقبلي بما يرسله الله لك. كنت أعرف أن راندولف لا يملك شيئاً.. لكنه رجل، وأصبحت زوجته.. كنت أحس بالإنتماء.. الإنتماء لرجل.. وهذا كل شيء بالنسبة لي.

نظرت روبينا الى الرأس الرمادي المنحني على الطاولة وفهمت، مالت فوق الطاولة ومررت أصابعها في الشعر الرمادي. وهمست:

ـ لا بأس.. أفهمك.. لا زلنا لبعضنا.

بدأ اليوم التالي بدفء متبادل بين العضوين الوحيدتين الباقيتين من عائلة بالمر.. لكن هذا التوافق لم يدم أكثر من الساعة

العاشرة، حين توقفت سيارة شرطة في الفناء وصعدت أقدام ثقيلة السلم الى الباب الأمامي.. بعد أن دعته روبينا الى الدخول جلس مرتاحاً ودخل رأساً في الموضوع.

ـ معي أوراق من مصلحة الضرائب في المقاطعة.. أنت لم تدفعي الضرائب للمحافظة منذ أربع سنوات.. والمقاطعة تستعد لإقامة الدعوى القانونية للطرح في المزاد إذا لم تدفع الضرائب خلال ثمان وأربعين ساعة.

ـ ثمان وأربعين ساعة؟

أخذ تفكيرها يتحرك بيأس.. لن يصلها الشيك من شركة المناجم قبل أسبوع، وهي الآن مفلسة تماماً.. ليو ترك لها مئتي جنيه، ما يكفي لاعالتها الى أن يصل المال، لكن مئتا جنيه لا يكفيان.. أم إنها كافية؟

ـ كم المبلغ؟

نظر الشرطي الى الأوراق.

ـ الأوراق تقول أن الدفعات والفوائد.. إحد عشر الف جنيه آنستي.. والأرض ثمينة.

أحست أن الأرض تميل تحتها.. الن يمكن لها أن تجد مثل هذا المبلغ؟ يالك من فتاة ثرية مسكينة! عشرات المناجم في أرضك، وليس معك المال لدفع الضرائب نظرت الى عمتها، والألم على وجهها:

ـ لدي فقط ثمان وأربعين ساعة للدفع؟

ـ هذا ما قاله القاضي.. آنسة.. والإ ستباع الأرض بالمزاد

www.elromancia.com

العلني.

ـ ثم ماذا؟

ـ يستردون مال الضرائب، وإذا بقي شيء تحصلين عليه اليس لك أصدقاء يساعدونك؟

همست العمة في آذنها:

ـ اتصلي به.

لم تفهم روبينا.

ـ بمن؟

ـ بزوجك، طبعاً!

بدأ الشرطي بالإبتسام.. لفكرة أن.. المجيء أميالاً للحجز على منزل إمرأتين، ليس فكرة فيها شيء من المرح، لكن هناك فرق لو أن هناك زوج، قال:

ـ بكل تأكيد إتصلي بزوجك.

ـ لكن.. سيكون في عمله.. وأنا لا أعرف.. ليس لدي رقم هاتفه و..

قالت العمة لاورا:

ـ ترك بطاقته..

وأمسكت الهاتف تطلب الرقم.

ـ قبل أن يسافر ترك بطاقته معي وقال أن نتصل لوحدث شيء.. وماذا أفضل من هذا؟ آلو؟ أجل، أريد التحدث الى السيد جيفرسون أرجوك.. من المتكلم؟ زوجته بالطبع، روبينا.. ما هو ذلك الإسم السخيف الذي يناديك به.؟ لا..

سكرتيرته لا تفيد.. أريد السيد جيفرسون.. زوجته تواجه المتاعب.. و.. لا تجرؤي على الحديث معي هكذا...! تدخلت روبينا:

ـ دعيني أتكلم.

وسمعت صوتاً بارداً من الجهة الأخرى يقول بحزم:

ـ.. والسيد جيفرسون قطعاً غير متزوج.

وثار غضب روبينا.. بمزيج من خطر الحجز وسكرتيرة متكبرة، وحاجة متعاظمة للكم أحدهم في فمه:

ـ هناك الكثير لا تعرفينه.. قولي لليو أن قطته على الهاتف.. وافعلي هذا بسرعة.

ربما لهجة صوتها، أكثر من الكلمات هي التي شدت الإنتباه وسمعت أصوات مفاتيح، وأبواب، أخيراً الصوت المألوف العميق، فأحست بالإبتهاج وزال غضبها:

ـ حسناً؟ من المتكلم؟

قالت بضعف:

ـ هذه أنا.. إذا كنت تذكر..

ـ قطتي؟

ـ أجل.. هذه أنا.

ـ لماذا لم تقولي هذا! أنا في منتصف اجتماع هام ألا يمكن الإنتظار؟

كان صعبا منع الدموع من الظهور في صوتها.. يا إلهي إنه غاضب! وصاحت:

www.elromancia.com

ـ أنا . . واثقة أن بالإمكان الإنتظار . . لكن لو فعلت فسيحجزون على المزرعة ويأخذون كل شيء لإننا لم ندفع الضرائب منذ أربع سنوات . . والشرطي هنا . . أنه يقول إنه مساعد المأمور ومعه ورقة من القاضي ويقول إننا أذا لم ندفع إحد عشر الف جنيه فسوف . . ماذا؟ وستة وعشرون بنسا . . فسيحجز الأملاك ويبيعها في المزاد، أو شيئا من هذا . وليس معي وقت سوى ثمان وأربعين ساعة . . ماذا قلت؟

صاح ليو :

ـ قلت توقفي . . خذي نفسين عميقين . . هيا دعيني أسمعها .

قاومت لتتملك نفسها وتشوشها، تنفست بعمق تشد أسنانها كي لا تصطك .

قال بهدوء :

ـ لا بأس عليك الآن تابعي ما أقول . . عندك نائب مأمور، صحيح؟ صحيح!

هزت رأسها لكن الشرطي قال :

ـ لا يستطيع رؤية رأسك .

ـ لا . . بالطبع لا يستطيع .

صاح ليو :

ـ ماذا قلت . .

ـ قلت لا لا تستطيع رؤيتي حين أهز رأسي .

سمعت صوت تهدج تنهيدته . . فقالت متوسلة :

ـ أرجوك . . أرجوك . . لا تغضب!

ـ لن أغضب قطتي . . فلنعيد الحديث . . عندك المأمور ومعه مذكرة من الضرائب، ويريد أحد عشر الف جنيه .

ـ وستة وعشرون بنسا .

ـ أجل . . وستة وعشرون بنسا، وإلا فلسوف يحجز المزرعة . . هل هذا صحيح؟

ـ أجل . . لكنني أعتقد أن بالإمكان الإنتظار، لا أريد إزعاجك، وما كنت سأفعل . . لكن عمتي لاورا . . .

صاح بها :

ـ أوه . . إصمتي . . اللعنة! اصغي فقط، واشكري الله لوجود عمتك .

ـ حاضر سيدي!

ـ لا تناديني سيدي! إسمعي . . إصنعي للرجل فنجان قهوة، وابتسمي له كثيرا . . وسأكون هناك بعد نصف ساعة .

ـ نصف ساعة كيف ستتمكن من هذا؟ أين أنت؟

ـ أنا في كارليل . . ولا تنسي أن عندي طائرة هليكوبتر . . . لو أنك فقط تتوقفي عن الكلام وتبدأي التحرك، وسأكون في طريقي إليك . . ما قولك الآن؟

ـ حاضر سيدي . . وداعا؟

صاح بها :

ـ سأنال منك على هذا . !

لكن دون لهجة تهديد .

وصل بالضبط بعد خمس وعشرين دقيقة . . كان لا يزال يملي

www.elromancia.com

أوامره على محاسبه حول المال، وعلى محاميه المفترض أن يكون قد تأكد من مثل هذا الشيء قبل الآن.

هكذا دخل المنزل كالعاصفة، يعطي الآراء القوية قبل أن يغلق الباب خلفه.. وهربت روبينا الى غرفة نومها تصفق الباب خلفها.. كانت لا تزال تسمعه يلقي التعليمات في غرفة الجلوس، وسعت عيناها بذعر لشيء تسد فيه الباب.. دفعت بكل قوتها لتحريك خزانة الأدراج تضعها تجاه الباب، لكن ليو دفعه، ودفعها معه، وهو يدخل دون أن يدق.

يا إلهي.. إنه غاضب.! وجهه كله أحمر!

ـ تعالي الى هنا.

لمسة واحدة جاءها بالإرتياح.. حين قبل خدها فوق كل الدموع كان هذا كإرجاء لحكم مؤبد.. لمسة منه أراحتها.

لمسته الثانية دفعت بغطاء جمجمتها الى الأعلى، وتركتها يائسة تتعلق بعنقه.. واهتزت الأرض تحتها. فضغطت نفسها إليه الى أن إرتفعت قدماها عن الأرض. وكانت ترتجف حين أعادها الى الأرض ثانية.. ولم يكن مثال الأعصاب الهادئة، وأحست بفرح كبير أن تراه يرتجف ربما بقدر إرتجافها. وتمتم:

ـ يا إلهي، لم أكن أعرف أن الزواج قاس لهذه الدرجة.. ماذا سأفعل بك؟

ـ إدفع عني الضرائب.

ضحك:

ـ ماذا.. أهذا كل ما تستطيعي التفكير به؟ قبلة واحدة وأدفع

لك الضرائب؟ حسنا.. لدي شخصان خبيران في الغرفة الأخرى يهتمان بهذه المشكلة الصغيرة. لكن، ماذا سأفعل بك؟

ـ إنني أكبر بسرعة.. وأظنني كبرت خمس سنوات في آخر خمس ساعات، ربما بإمكانك أن..

ـ بإمكاني ماذا؟

همست سرا: أن تحبني.. لكنه كان قد استدار ليعطي التعليمات للرجلين في الغرفة الأخرى..

بقي للغداء، وذهب الرجلين مع المأمور ليتأكدا من عدم وجود أشياء غامضة بعد.

بعد الطعام جلسا أمام الباب على الشرفة المسقوفة متقاربان حدا، ويده على كتفها بشكل طبيعي. وقال:

ـ إذن لقد أخطأت..

ردت دون تفكير:

ـ بماذا؟ لا أستطيع أن أصدق أن ليو جيفرسون الذي أعرف يمكن أن يخطيء..

ـ هاي.. هذه فيها سخرية.. أنت تكبرين بسرعة فعلا. انظري هناك بطتان تطيران غربا.. وهذا فأل حسن، تمني شيئاً.

ـ لقد تمنيت شيئا منذ أسابيع.. ولن أتمنى مرة أخرى إلى أن تتحقق الأمنية الأولى.. لماذا قلت أنك أخطأت؟

ـ عديني أن لا يرسخ هذا في رأسك.. كان لدي فكرة أنك وأنا أدينا لبعضنا خدمات متبادلة، وانتهى الأمر.. وقلت لنفسي، أخرج تلك الطفلة من رأسك..

ـ طفلة!

ـ حسنا . . هذه السيدة . . دعيني أنهي كلامي قبل أن أنسى ما أحاول أن أقول . . ما أعنيه أنني وجدت صعوبة في إخراج هذه السيدة الشابة من رأسي . . بالطبع، قصة زواجي انتشرت في كل أملاك جدتي وفي الجوار . . وتسرب الخبر إلى مكتبي . . أتعرفين شيئا؟ لقد زاد هذا من مركزي، أن يكون لي عروس . . لذا فكرت إذا لم يكن لديك اعتراض، أن أزورك من وقت لآخر . .

تنحنحت، تخفي وجهها عنه .

ـ نوع من . . . استئجار عروس؟

رد بجدية :.

ـ أجل . . شيء من هذا . . هذا إذا لم تمانعي .

ـ لا . . لا أمانع .

الضحكة الفارغة التي أرفقتها لتظهر له كم أن الفكرة كانت عادية، كانت تافهة باردة، أشعرتها بالارتجاف .

وقال ببرود :

ـ حسنا . . أظن كل شيء تحت السيطرة هنا . . ولدي مليون شيء أفعله . . على فكرة، حالة جدتي لم تتغير، لا زالت غائبة عن الوعي . . وسأبقى على اتصال بك . . وابقي رقم هاتفي قريبا منك، في حال احتجت إلى استئجار زوج مرة أخرى . . أوكي؟

لم تستطع أن ترد عليه، وجلست على حافة الأرجوحة تنظر إليه يقف ويتجه إلى حيث الهليكوبتر . . ثم عاد من منتصف الطريق :

ـ لست بارعا في دور الزوج هذا . . لقد نسيت . .

انحنى يقبلها فوق النقطة التي ينبض فيها الدم عادة على صدغها . . وقبل أن تقول كلمة . . عاد من حيث أتى . . وكانت تجلس متصلبة حين سمعت هدير الطائرة تعلن رحيلها، يدها اليسرى تمسك بمكان قبلته الوداعية، ويدها اليمنى فوق اليسرى تعبث بالخاتمين في إصبعها الثالث . . الخاتمين اللذين لم تخلعهما بعد .

www.elromancia.com

- ٤ -

الوصية

الأيام التالية مرت مضجرة. . وتمنت روبينا لو تعود إلى تربية الماشية بدلا من كل هذه المناجم التي أدت إلى إجداب الأرض. . لكن، لم يكن نقص المواشي، ولا الحواجز المحطمة، أو الأرض الجافة هي التي تؤلمها، بقدر ما كان يؤلمها التفكير به!

لو اتصل بي مجددا، فقد أذهب معه لأساعده!

ذلك المساء، رن جرس الهاتف، وظنته هو، فسارعت ترد:

ـ ألو؟

ـ سيدة جيفرسون؟

ـ أجل. . تتكلم.

ـ لدي رسالة من زوجك. . السيد جيفرسون في لندن. . ويأمل أن يعود في أسرع وقت، لكن الطقس سيىء وقد يتأخر قليلا. . طلب مني الاتصال لإبلاغك أن جدته ماتت بعد ظهر اليوم.

ـ أوه. . كم هذا فظيع. . هل خرجت من غيبوبتها أبدا؟

ـ لا. . والسيد جيفرسون يطلب مجيئك إلى «هيل سايد» للعزاء

والجنازة. . قال أن أكرر لك جملة محددة: إنه محتاج إلى دعمك. . هل فهمت هذا؟

ـ أجل فهمته. . هل يريدني المجيء فورا؟

ـ لا سيدة جيفرسون، ينوي أن يأتي بنفسه ليأخذك في أسرع وقت ممكن.

ـ أفهم. . إذا كلمك ثانية قولي له إنني بالانتظار.

كان الوقت بعد ظهر اليوم التالي حين وصلا إلى المنزل القديم عند التل. . وكانت العاصفة قد تلاشت، مبتعدة إلى البحر، تاركة ورائها رائحة الهواء النقي المغسول والأرض الرطبة اللينة، وعطر الزهور البرية والصنوبر المغبر الجاف. . نجمة واحدة. . واحدة فقط، أطلت من بين الغيوم الساكنة. . وكان مصباح صغير أصفر ينير المدخل الأمامي لمنزل العائلة الكبير.

ثلاثة رحلات، صعودا، نزولاً على السلم، بعض الترتيب، تغييرات بسيطة لأمكنة الأثاث، وصلت الساعة الى الثانية صباحاً، وقبل أن تتمكن روبينا من إخراج ليو من غرفتها، لتتعرى، وترمي نفسها متعبة في السرير. . فهذا اليوم بدا لها بطول عشر سنوات.

تملكها حلم. . بطريقة ما كانت عالقة على منصة دائرة. . وحش غير معروف المعالم على وشك أن يحيلها الى ضحية عذراء، مستخدماً سكيناً مخيفة. . انتفضت، تقلبت استفاقت، ثم عادت الى النوم. . قلّبت الشرشف حتى تعقدت ولم تتمكن من العودة الى النوم. . حتى ما قبل الفجر. . وفي الظهور التالي، كان الوحش

يستخدم سكينه ليدغدغ أنفها فتحت روبينا عيناً لها، وتحول الوحش الى ليو، يستخدم ريشة صغيرة بدلاً من السكين.

ـ إنها الثامنة، وقت النهوض من النوم، أمامنا الكثير من الأمور نهتم به اليوم.

مدت يدها من تحت الغطاء، تدفع خصلة شعر عن جبينها.. في أعماق عينيه شاهدت الألم، مكبوح بتوتر.. يا إلهي! ها هو نبيل انكليزي آخر، متعجرف فخور.. ليس من عادة النبلاء البكاء، مهما كانت حدة الألم.

تجاهلت غلالة نومها، وجلست تضم رأسه بين يديها.. وسألت بهدوء:

ـ أهي جدتك؟

التوى أطراف فمه لكن لوقت قصير.

ـ إنها أحد أسباب عدم زواجي روبينا.. أجل إنها جدتي.

أملت أن تساعده على إيجاد الراحة:

ـ أخبرني بالأمر.

قال متجهماً:

ـ لا شيء يُذكر.. والداي توفيا وأنا صغير، وهي التي ربّتني.

ـ مع ابنتها بالعرابة.

ـ أجل مع إيموجين.

ابتعد عنها، فنزلت عن السرير تقف قربه. فأكمل:

ـ كانت سيدة رائعة.. صحيح أنني كيفت نفسي منذ زمن على فكرة أنني سأخسرها، لكن هذا لم يصدمني حقاً، حتى ليلة

أمس.. الى أن دخلنا أملاكها.. تملكني شعور إنها هنا، في مكان ما، تراقبني لترى ماذا أفعل.. يا إلهي! كل هذا هراء.. هناك ملايين الأشياء نفعلها، وأنت سيدة المنزل.. فلننزل الى المطبخ لتناول الفطار أولاً.

أحست روبينا بالفراغ.. لقد انتهت ثقته فيها، لقد عرض عليها جزء من نفسه، ثم انتزعها منها بسرعة.. تحرك كرياضي رشيق خفيف، وأقفل باب الحمام وراءه.

نزلا معاً خلال ربع ساعة، من الذي كانت فيه سارة تضع طبقين كبيرين من الطعام على صينية.. فشهقت العجوز:

ـ أوه.. لقد أجفلتماني! كنت سآخذ لكما الفطار.. بالكاد تمتعتما بشهر العسل، وتحتاجا الى قليل من الدلال.

ضحكت روبينا:

ـ لكنني حصلت على شهر عسلي.. هل رأيت يوماً شقته؟

ضحكت سارة!

ـ أوه.. تلك!

أزالت الطبقين عن الصينية ووضعتهما على الطاولة.

ـ يجب أن تحذري من كل هذا يا فتاة.. إنها من أعمال قوم لوط.. كيف تستطيعي أن تنامي في ذلك السرير الذي يدور؟

قاطعها ليو..

ـ نتدبر أمرنا.. حضّري لنا القهوة سارة، أمامنا الكثير من التفكير.

ربتت سارة كتف روبينا:

www.elromancia.com

ـ بامكانها النجاح.. صحيح أنها صغيرة.. لكنها شجاعة ليو.. لا زالت جاهلة كيف كان حظك لتلاقي هذه الشابة.. لكن.. الأمر الوحيد، أن عائلتك، ستتوقع منها أن تقوم بأشياء محددةلهم.. تلاقيهم عند الباب، ترافقهم الى غرفهم تشرف على وجباتهم.. وكل هذا، ولأجل كل هذا سيدتي، عليك إرتداء ملابس مناسبة.

ـ لدي البعض منها.. وسأحاول النجاح.. إذا ساعدتني؟

ـ سأساعدك.. أعطنا الخطة الرئيسية ليو.

ـ حسناً.. في الغد سنقيم العزاء العائلي قبل الدفن.. وبعده عزاء عمومي.. عرفت أن حاكم المقاطعة ينوي الحضور.

لاحظ الدهشة على وجه روبينا، فأمسك يديها معاً:

ـ جدتي سيدة مشهورة في أيامها.. وسيأتي الكثير من أصدقائها، والد الحاكم كان من أفضل المتوددين لها قبل زواجها بجدي.. ماذا كنت أقول؟

قالت سارة:

ـ العزاء العمومي بعد غد.

ـ أوه.. أجل.. الجنازة ستكون يوم الجمعة.. أرادت أن تقام الصلاة عليها في كنيسة القرية القديمة، تلك التي كانت مع جدي يحضران الصلاة فيها قبل أن يحصل على ثروته وينتقل الى هنا.. والدفن الى جانب زوجها، وتريد المراسم أن تكون بسيطة.

قالت روبينا:

ـ ما من مشكلة إذن.

ـ بلى.. خاصة بعد الجنازة.. جدتي غنية جدا، وهناك عمات وخالات وأعمام وأخوال في كل المقاطعة، وسيعسون الى ما يستطيعوا الحصول عليه، مع إنهم لم يكونوا يزورونها وهي حية. أوه.. سيكون هناك أكثر مما يكفي من مشاكل صدقيني، لكن وصيتها لا تتجاوز الصفحة الواحدة، وسيكون الكثير من حزير الأسنان حين تقرأ.. فلازميني يا إمرأة!

الأيام القليلة مرت بسرعة.. ووجدت روبينا نفسها تضيع بين الأعداد الغفيرة من العائلة التي تدفقت، الكل يطالب بغرف في المنزل الكبير، لعبت دورها كمضيفة بطراز رفيع.. وفي وجه هذا الغزو إستأجر ليو إمرأتين من القرية في الوادي لتساعدا خلال النهار.. وساعدت روبينا في المطبخ، إضافة الى الإشراف على المساعدتين الجديدتين.

رافقها ليو الى العزاء العام.. وارتدت له فستانها الأسود الجديد، ولفّت شعرها تحت القبعة التي لم تعتد عليها. وجلست بصبر الى جانبه، بينما كان المُعزون من معارف الميتة يمرون ليلقوا النظرة الأخيرة عليها.. الى أن وصل الحاكم كانت روبينا متعبة أكثر من أن تلاحظ ما يجري.. كل الصحافة كانت هناك، وكان الجميع يشير إليها على أساس أنها من «حقبة قد انتهت».

في اليوم التالي وتحت شمس مشرقة، دفنت العجوز في مدفن العائلة، في المدفنة القديمة، الى جانب حبيب شبابها، الذي سبقها منذ أكثر من عشرين سنة.. ثم انتهى كل شيء.

كما تبين لاحقاً، أيام العزاء والجنازة كانت أياماً هادئة. فما أن

www.elromancia.com

عاد الجميع الى المنزل حتى إنطلق الجحيم. . العم لورانس، ذو الأنف المكسور والصوت المرتفع. كان يصر على أن لوحتان معلقتان في المكتبة هما له، بينما ثلاثة آخرون كانوا ينكرون عليه حقه. . لكن ليو عارضهم جميعاً، محذراً أن كل شيء سيوزع كما تنص عليه الوصية، وليس بأية طريقة أخرى.

هكذا، بدأ أسبوع آخر. أسبوع عمل على تلميع الفضيات، الى التنظيف العام، بالرغم من ظروف احتشاد الأقارب. . وقالت سارة:

ـ هذا شيء يبقي المرء مشغولاً. . اسبوعين من العمل الجاد، وستعود الأمور طبيعية. . حسناً بقدر ما يجب أن تكون طبيعية في المستقبل.

فكرت روبينا بالمستقبل كثيراً خلال الليالي التي تلت. كانت وليو قد أعتادوا على روتين محدد، عرض معتدل للحب خلال النهار، بضع عناقات، قبلة سريعة، خلف أبواب جناحهما المقفلة. . وقال لها وهو يقرأ صحيفة اليوم، بعد خروجه من الحمام:

ـ سنسمع تلاوة الوصية غداً. . أنظري الينا إننا نصبح زوجين نظاميين. . اليس كذلك؟

رمى الصحيفة من يده، وتقدم نحوها يطبع قبلة على رأسها:

ـ سأذهب لأنام.

وخرج من الباب الداخلي الى الغرفة الثانية، حيث كان ينام بالفعل. . وراقبت روبينا ظهره وهو يختفي. . وتكوّنت دمعة

صغيرة عند زاوية عينها، ثم تدحرجت على خدها.

هكذا سمعت العائلة تلاوة الوصية في الصباح. . وقالت روبينا لسارة:

ـ يا لهم من مجموعة صقور. . ينظرون الي وكأنني سأسلبهم شيئاً من جداتهم.

في التاسعة تماماً وصل المحامي السيد ستانلي. . بدا صغير السن يمثل المؤسسة الكبيرة للقانونيين الكبار. . لكن، كان معه أوراق الإعتماد المطلوبة، ولحقت العائلة به الى قاعة الإستقبال المزدوجة. وأقفلت الأبواب خلفهم.

ما هي إلا نصف ساعة، حيث كانت روبينا تشارك سارة فنجان قهوة في المطبخ، سمعتا الهدير، وعلقت سارة: «أربعون شخصاً يصيحون معاً. . يبدو أن السيدة العجوز قضت على الجميع!»

انفتحت أبواب قاعة الإستقبال بحدة، وخرج من في الداخل مندفعاً، كانت العمة اليزابيت تصيح:

ـ سأطعن في صحة الوصية. . لا يمكنها فعل هذا بنا نحن عائلتها!

لكن أحداً آخر لم يوافق على كلامها، كان الجميع قد رحل. . في موجة مجنونة من الإحتجاج، وصرير الإطارات. ووقف السيد ستانلي الشاب على الشرفة المسقوفة مع ليو يراقبهم، ثم ابتسم ولحق بهم.

خرجت روبينا من مخبأها في زاوية مظلمة من الردهة حال أن بدأت سيارة المحامي تتحرك، وانضمت الى ليو، الذي نظر إليها

متجهماً، ثم ضحك يلف ذراعه بودية على كتفيها.

ـ شكراً لله على وجودك معي عزيزتي.. هذا ما تعنيه العائلة!

ـ تبدو متوتراً.. أكان الأمر معهم دائماً بهذا السوء؟

ـ سوء؟ لست أدري حقاً..

ضغط على كتفيها وأكمل:

ـ لكنني كنت أتمنى لو تركت الجدة كل شيء للأعمال الخيرية.. الشر في ماذا فعلت لنا؟

لنا؟ أحست بارتجافة صغيرة تجتاحها.. لنا؟ هل وصلنا الى هذا الحد ليو.. أنت وأنا؟.. قالت هامسة:

ـ لا.. ماذا فعلت؟

ـ لقد تركت الأملاك كلها لتنقسم بيني وبين ابنتها بالقرابة إيموجين.. ولست أدري ما إسمها بالزواج الأن.. كتبت الوصية منذ سنة تقريباً. في وقت كانت قد يأست من زواجي.. هكذا ستنقسم الأملاك بيننا، شريطة أن أجد إيموجين، ويجب بعدها أن أعيش معها ثلاثة أشهر في المنزل قبل أن نستطيع التصرف به.. وليس لدي أية فكرة عن مكان وجودها.. ولا أعرف هذا منذ خمس سنوات!

لم تجد روبينا كلمات ترد فيها.. ليو سيعيش ثلاثة أشهر في هذا المنزل الواسع مع إمرأة أخرى.. الطفلة التي كبر معها. المرأة التي أحبها يوماً! من قبرها، وضعت جدته على أكتافه التزام سيقود حتماً الى.. توقفي! صاحت روبينا بنفسها.. لا تفكري بهذا! واستدارت عنه تضع قبعتها في فمها لتمنع البكاء.

شدت يده على كتفها مجدداً:

ـ قطتي!

شهقت:

ـ لا تناديني هكذا!

انتزعت قدميها من على البساط، حيث بدتا ملتصقين به، وركضت الى الحمام.. وسمعت باب غرفة النوم ينفتح ثم ينغلق، ويقفل بالمفتاح عليه. وقرع ليو باب الحمام مرتين.

ـ روبينا هل أنت على ما يرام؟

ـ نعم.. أرجوك...

ـ لا بأس.. الغداء بعد ساعة.. أمامنا الكثير نتكلم عنه.

بعد قليل وضعت أذنها على الباب.. بحذر فتحته ونظرت الى الخارج، غرفة النوم فارغة.. أسرعت الى الخزانة أخرجت حقيبتها وفتحتها على السرير.. خذي فقط ملابسك الخاصة.. أفرغت الأدراج من ملابسها الداخلية القطنية البسيطة.. متجاهلة أكوام الحرير والدانتيل التي اشتراها لها من كارليل، وأقفلت الخزانة أمام الإغراء وأطبقت حقيبتها.

خرجت متسللة دون أن يراها أحد.. في الخارج ثلاث سيارات أخذت الجيب القديم، فهو ما إعتادت عليه، كما أن المفاتيح كانت فيها.. ودار المحرك لمجرد لمسة، وأدارت المركبة، ثم اتجهت الى الطريق العام.

سمعت الضجيج من المنزل، صفق باب المطبخ لخروج شخص منه بسرعة، لكن عيناها كانتا متسمرتان على الطريق.. خبرتها في

القيادة في المزرعة، لم تحضرها الى هذا الواقع. . شدت يدها على المقود، والتزمت يسار الطريق منطلقة بأقصى سرعة. . ما أن وصلت الطريق العام حتى تنفست الصعداء واستدارت يساراً نحو كارليل، مخففة سيرها الى خمس وعشرين ميلاً في الساعة، متجاهلة أبواق السيارات العالقة خلفها. . وتنهدت ثانية حتى رأت الطريق ممتدة دون عائق أمامها، وكأنها سهم يتجه شمالاً، أخذت السيارات تتجاوزها راعدة، يتمتم سائقوها غضباً. . أزاحت السيارة الى جانب الطريق لتقف تقريباً تحت إشارة تقول «ممنوع التوقف على الطريق العام».

كانت لا تزال تبحث عن منديل في حقيبة يدها، حين توقفت سيارة شرطة أمامها، وتقدم الشرطي منها. . وقالت تدافع عن نفسها بسرعة:

ـ لم أكن مسرعة!

ضحك حتى بدت أسنانه الجميلة!

ـ لا سيدتي! هل لي أن أرى رخصتك. . أرجوك؟

إحمرّ وجهها:

ـ يبدو أنني لا أحملها معي.

رد بلطف:

ـ لكن هذا أمر مفروض عليك. ألم يقولوا لك هذا حين حصلت عليها؟

همست:

ـ لا. . لم يقولوا لي هذا.

ـ أمر غريب. من أين حصلت على الرخصة؟

ـ أنا. . ليس لدي رخصة.

ـ لا رخصة. هل لديك أوراق السيارة. . هل لي أن أراها أرجوك؟

ردت بصوت صغير هامس:

ـ ليس. . معي أوراق السيارة.

ـ لا تقولي لي إنك سرقتها؟

كان يمازحها محاولاً تخفيف حدة توترها.

ـ أجل.

ـ أوه. . يا إلهي!

اختفت إبتسامته تماماً:

ـ أرجوك. . اظهري لي أي شيء يحدد هويتك.

مدت يدها الى حقيبتها، وفوجئت أن تراه يتراجع ويسحب مسدسه. .

ـ كنت. . أفتش عن بطاقة إعتماد.

أخذها بحذر. . قرأها وقال:

ـ روبينا بالمر. . أهذه أنت؟

ـ أجل. . هذه أنا. .

ـ وأين تعيشين؟

ـ على الطريق من كارليل الى البحيرات.

ـ وممن سرقت السيارة؟

ـ من. .

www.elmondnia.com

كادت تقول «من زوجي» لكن هذا قد يسبب بارتباك كبير..
وأجابت:
ـ لا أذكر.
ـ أخرجي من السيارة أرجوك.. ضعي يدك على السيارة، واخرجي ساقيك. أحست بيده تربت كتفها وجنبها.. ثم سمعت صوتاً لا تريد سماعه يسأل:
ـ ماذا تفعل بحق السماء مع زوجتي؟
أجفل الشرطي أكثر مما أجفلت روبينا.. من زاوية عينيها رأت الشرطي يستدير ويرفع مسدسه.
ـ أوه.. سيد جيفرسون؟
ـ أجل.. ليو جيفرسون.. أتعرفني؟
ـ أجل سيدي، كنت في حرس الشرف في جنازة جدتك.
ـ إذن، لا بد أن تعرف أن هذه السيدة الشابة هي زوجتي؟
ـ لا.. لم أتعرف عليها.. كانت تحت الغطاء الأسود.. وهي تدعي اليوم إسماً آخر.
ـ آه.. تعرف كيف تجري الأمور.. لم نتزوج منذ مدة طويلة، وحصل لنا سوء تفاهم بسيط، تعرف كيف، وتفهم؟
استدارت روبينا غاضبة لتجدهما يديران ظهرهما إليها.. لا بأس إنتظر الى ما بعد، ليو جيفرسون!
حياه الشرطي وعاد الى سيارته ليعود أدراجه.. والتفت ليو إليها ويده في جيبه.
ـ أيمكن أن تتفضلي بالصعود الى سيارتي؟

وتقدم يفتح لها الباب، فدخلت دون أن تنظر إليه.. صعد إلى جانبها ثم قال:
ـ سنعود الى المنزل لنتكلم في كل هذا.
صاحت:
ـ لا.. لقد إكتفيت.. خذني الى منزلي!
نظر إليها متفرساً، يلاحظ إحمرار وجهها وبريق عينيها.. ثم هز رأسه، وتابع الطريق شمالاً حيث أكملا الطريق الى مزرعة وينشلتر بصمت مطبق. ارتفعت يد روبينا فوراً الى مقبض الباب، لكنه كان مقفلاً.
ـ إفتح الباب!
ـ لا.. يجب أن نتكلم.
ـ ليس هناك شيء نتكلم حوله.. كل هذا كان مهزلة من البداية الى النهاية.. لكنك لم تكن تحتاجني.. أنا لست زوجتك.. حتى إنني لست واثقة أنني معجبة بك.
ـ يا لك من كذابة قطتي.
مرر اصبعه فوق شعرها.. التلامس أكثر من أن تتحمله. أجفلها وهز ثقتها بنفسها.. وجعلها تعترف، لنفسها على الأقل، إن ما قالته أكبر كذبة قالتها في حياتها، لكن عليها أن تقاوم.. فصاحت:
ـ أبعد يدك عني! لقد انتهت اللعبة! فأنا لست زوجتك ولست ممثلة بما يكفي لأستمر في هذه الكذبة. إفتح الباب ودعني أخرج.
رأت من طرف عينيها أن العاملين التؤام كانا عند زاوية المنزل

وينظـرا باهتمام إليهما . . فأكملت :

ـ وشيء آخر ، إبعد راعيا البقر من عمالك عن هنا . . أتسمع؟

رد بهدوء :

ـ أسمعك . . فلديك صوت واضح جميل ، ثم هما ليس من عمالي ، بل تابعان لشركة تربية المواشي الغربية . . ولقد إستأجرت مذرعتـك خدماتهما . . ولقد أعطيتني وكالة عامة ، وسيبقيان هنا الى حين إنتهاء مدة الوكالة . أو فسخها ، أتريدين فسخها؟

صاحت في نفسها صامتة : لا . . لا أريد هذا! أنا أحتاجك . . وأكرهك . . لكنني أحتاجك . . لكنك ستعيش في ذلك المنزل مع إيموجين نورث لثلاثة أشهر . . وما هي فرصتي

ـ لا . . لا أريد فسخها .

ـ عظيم . . هذه خطوة صحيحة في الإتجاه الصحيح . . والآن ماذا عما تبقى؟ ما السبب الحقيقي لغضبك؟

صاحت به ، تنظر الى زر قميصه :

ـ أنـت وذاك الشرطـي اللعين . . السيـدة الصغيرة . . تلـك البلهاء . . إنها مجرد إمرأة . . يا إلهي ، كيف تجرؤ!

ـ لكـن هـذا أبعـدك عـن السجـن . . أليس كـذلـك؟ . . والآن أخبريني لماذا هربت من المنزل؟

بكت :

ـ لم تعد بحاجتي . . كانت مجرد لعبة . . وسئمت اللعب!

لتثبت وجهة نظرها بدأت تخلع الخاتمين ، حتى خدشت أصبعها ، ورمتهما على الرف أمامه :

ـ وهاك حليك . . إنتهى الأمر!

ـ أتعني هذا حقاً روبينا؟

ـ أوه . . يا إلهي! أرجوك إفتح لي الباب ودعني أخرج .

كانت دموعها أبعد من أية سيطرة . . فتنهد وهز رأسه . . ومد إصبعه ليضغط زراً ، وسمعت روبينا انفتاح الأقفال . فخرجت من السيارة بسرعة . . فناداها :

ـ قطتي . . !

لكنها أدارت ظهرها إليه ، وصعدت الشرفة تمر براعيي البقر المتفرجين ، فصاحت بهما :

ـ أليس لديكما عمل في المزرعة؟

وصفقت الباب ورائها . . من خلفها كانت تسمع همس المحرك القوي يدور ثانية ، وصرير الإطارات بينما كان ليو يستدير . . اسرعت الى المطبخ تصفق الباب الثاني ورائها . وسارعت العمة خلفها ، فرمت نفسها بين ذراعيها ، وبكتا معاً الى أن جفت الدموع منهما . . إمرأتان وحيدتان .

مسحت روبينا عينيها بقبضتيها ، ثم مدت يدها الى خدي عمتها المبللين ، المجعدين . . وقالت مصممة :

ـ أتعـرفين . . على الأقـل أمـامنـا شيء نفعلـه عمتـي لاورا . . سنجري لك عملية تجميل . . فكري بالأمر!

- ٥ -

الملاك الحارس

مر الأسبوع الذي تلا بوتيرة واحدة من الأيام السيئة لزمت روبينا غرفتها، لا تنزل منها سوى لوجبة سريعة في المطبخ، ولعلمها إنها يجب أن تأكل، بدلاً من أن تكون جائعة. كانت الشمس تشرق كل يوم تقريباً.. وفي نهاية الأسبوع كانت لا تزال صعبة محبطة، لكنها حصلت على ما تريد من إجابات، وخرجت الى العالم. لترى أن عمتها في المطبخ غارقة حتى الكوعين.

ـ كيف حالك الآن.؟ طوال الأسبوع وأنت مقطبة، بماذا كنت تفكرين؟

ـ ما كنت أفكر به عمتي، أن علينا الآن أن نستقر، ونفعل شيئاً جيداً بأنفسنا.

ـ نفعل شيئاً.. ! ماذا مثلاً؟

ـ حسناً.. علمت وأنا في منزل عائلة ليو أنني لا أعرف شيئاً. ويجب أن أجد وسيلة لأنهي فيها تعليمي الثانوي، وربما الذهاب الى الجامعة.. لكنني لا أعرف بمن أتصل، أو ماذا أفعل. وأنا بحاجة لرخصة قيادة السيارات.. ولا أعرف أين أبدأ.

ـ لماذا لا تتصلي بالأنسة هايلاند؟

ـ هايلاند؟ وهل أعرف الأنسة هايلاند؟

ـ لابد تعرفيها بحق السماء! إنها سكرتيرة زوجك، لينا هايلاند، في الأسبوع الماضي، وبعد فكرتك، اتصلت بها، وفي ثلاثة أيام كان لدي كل المعلومات.. إنها فتاة رائعة.. أم أقول إمرأة!

ـ لست أدري.. أية فكرة؟

ـ أوه عزيزتي وهل نسيت! تلك حول العملية التجميلية؟

وبدأت شفة العجوز ترتجف.. يا إلهي ماذا فعلت؟

ـ أوه.. أذكرها جيداً.

إبتسمت العمة:

ـ فكرت بها عدة مرات.. وبدت لي فكرة رائعة، وقررت متابعتها.. هذا إذا وجدت المال.

لوحت روبينا يدها:

ـ لاتهتمي بالمال.. هناك الكثير لنا، ولكل شيء.. ماذا وجدت؟

ـ يبدو أن كل شيء تدبر عزيزتي.. ما أن إتصلت بلينا حتى حدثت الأمور بسرعة خطفت أنفاسي، سأذهب الى مركز التجميل الطبي في لندن بعد وقت قصير.. سأبقى هناك أسبوعاً أو إثمين للفحوصات، ثم إذا قرروا شيئاً، أعود في بداية السنة لإجراء الجراحة.. هذا إذا توفر المال.. قالوا حوالي ستة آلاف جنيه.. وهذا مبلغ كبير روبينا!

www.elmoumen.com

ـ لا . . ليس مبلغاً كبيراً.

أيمكنها الإتصال هي أيضاً بالسكرتيرة دون الرجوع الى ليو؟ أيكنها أن تجبر نفسها على التعليم، وتصبح مثقفة، وتكبر بسرعة، ثم تعود إليه لتقول: أنظر إلي! لقد كبرت، وماذا الآن؟

إبتسمت لعمتها، والتفتت حول الطاولة لتضع ذراعيها حولها:

ـ نحن كل ما تبقى من عائلة بالمر . . وعلينا أن نعتني ببعضنا . . وأنا أحبك كما أنت . . لدينا مال في المصرف، وسيكون هناك المزيد في تشرين الأول . . وبما أننا في الموضوع، فلنذهب معاً الى كارليل ونشتري لأنفسنا أجمل ما نلبس!

أوصلهما توم تيرانس الى كارليل وأعادهما ظهراً . . لكن مرت ساعة مرة لرجوعهما قبل أن قررت روبينا التسلل خلسة الى غرفة الجلوس وتتصل بالأنسة هايلاند. بعد إنتظار طويل، تبين أنها السيدة هايلاند، المساعدة المنفذة لرئيس الشركة، عضو في مجلس الإدارة، مشغولة جداً، وسيدة ذات صوت دافيء استجابت بحبور ودفء لروبينا على أنها السيدة جيفرسون الشابة . .

استمرت المكالمة أربعين دقيقة، أصغت خلالها لينا هايلاند المشغولة جداً، وطرحت الأسئلة، وسجلت الملاحظات، أخيراً قالت:

ـ لا أعرف شيئاً عن كل هذا سيدة جيفرسون . . روبينا . . لكنني سرعان ما سأعرف . . فهل أرتب كل شيء.

ـ لو سمحت . . لينا . . لقد مضت الكثير من السنوات . . وأنا دعيني أراجع اللائحة مجدداً.

ساد صمت سمعت خلاله صوتاً، ردت عليه السيدة هايلاند:

ـ إنها زوجتك ليو . . لديها بضع مشاكل صغيرة . . .

واختفى الصوت . . أخيراً عادت لينا إليها.

. ـ أظن أن كل شيء مسجل ولا أرى مانعاً أن تبدأي فوراً . . هل ستكوني في المنزل أم المزرعة؟

ـ في المزرعة، وسأكون هنا طوال اليوم أنتظر. لكن . . لينا أرجوك . . لا تقولي . . لليو.

ـ بالطبع لن أفعل، فما لا يعرفه الرجال لن يضرهم! أعرف هذا لأنني متزوجة منذ سنين.

كانت الإبتسامة على وجه روبينا حين علقت السماعة وعادت الى المطبخ.

في الصباح التالي، وبعد أول ليلة من نوم مريح منذ أسبوع إستيقظت روبينا لتواجه شمساً رائعة تطل على المزرعة . . بعد فطار سريع خرجت من المنزل لأول إطلالة حقيقية لها على ما جرى في المزرعة . . وجدت تيم بالمر، أم إنه توم؟ يعمل في إصلاح سرج لجواد، فلامس قبعته تحية لها.

وسألته:

ـ أخبرني ماذا يجري.

ـ حسناً . . أخي ذهب الى المدينة ليأتي لك بالسيارة التي طلبتها . . ولقد حصلنا على مساعدة في الأسبوع الماضي لاصلاح الزريبة . . المخزن في حالة ممتازة . . بعض الرجال من كارليل يصلحون السياج الخشبي للجياد العربية الجديدة . . اليست رائعة؟

وركبت وأخي جوادينا على طول سياج المزرعة وأصلحناه جميعه . . وأصبحت الماء تتدفق في كل مكان، وجاءت شركة المناجم كي لا تقترب الماشية منها . . وقال الرئيس أن علينا تحضير كل شيء للربيع القادم . . وسيصل قطيع الأبقار في ذلك التاريخ . . أوه . . كدت أنسى، جاء أشخاص ليقيسوا أطوال المنزل . . . هذا كل شيء .

ـ يقيسوا المنزل؟

ـ لا أعرف شيئاً عن هذا سيدتي، كانوا يتعلمون عن تكبيره . أو شيء من هذا، لأنني لا أفهمه .

ـ وماذا عن السيارة؟

ـ لقد ذهبت أخي يستلمها من الوكالة في كارليل، ولقد إشتراها بنفسه . . أعني الرئيس . . وتلقى تيم تعليمات أن يمضي الأسبوعين القادمين في تعليمك القيادة، ثم مساعدتك للحصول على رخصة .

وكان هذا شيء كثير تفكر به وهي تركب فرستها حول حدود المزرعة، تبدي إعجابها بالسياج الرائع، وعودة الخضرة الى الأرض والمنظر، بعد العاصفة الطبيعية . . كان العشب الأخضر الطري يمتد في كل إتجاه حولها، لا تقطعه سوى أحراج كثيفة ملتفة من الأشجار . من البعيد كانت التلال تتراءى، تحدد بداية الوادي الذي يصل الى منزل ليو . . كل شيء على مدى النظر كان يبدو متحركاً بنوع جديد من الحياة، والوعد . . ولم يعد في قلبها أي نوع من الألم سوى أن والدها لن يستطيع رؤية كل هذا .

مرّ أكثر من أسبوع بقليل قبل أن يرضى تيم تيرانس عن حسن أدائها لقيادة السيارة، التي لرغبتها كانت من نوع أميركي، باندفاع على أربعة إطارات، شاحنة صغيرة تتناسب مع متطلبات المزرعة . . ثم أخذها الى مركز المحافظة، دائرة السيارات حيث جرى ترتيب موعد للفحص . . وأخذت تتمنى أن لا يكون فاحصها نفس الشرطي الذي أوقفها على الطريق . .

إنطلقت من خلال الحواجز المصطنعة، وناورت استدارت، ونجحت في امتحانها . . وقال الشرطي :

ـ لقد نجحت دون خطأ يذكر . . والآن تأكدي أن تحملي معك دائماً الرخصة حين تقودين!

وكان وجهها أحمر حين استلمت الرخصة . وكانت هدف تحققه من أهدافها .

في الصباح إنتظرتها مفاجئة أخرى، وكأن مُخرجاً تنتظر انتهاء مشهد لبدأ الآخر . إذ استقبلتها عمتها في المطبخ مبتهجة، وحضرت لها البيض واللحم، فطار انكليزي تقليدي .

ـ لقد إتصلت السيدة هايلاند بالأمس . . وقالت أن موعد مع الأطباء يوم الأربعاء . . آه . . روبينا . . لن تعرفي أبداً كم سيعني لي هذا . . خاصة بعد كل ما فعلته لأذيتك!

سارعت تحضن العجوز، وما أن أحست بدفء ذراعيها، حتى علمت ماذا خسرت طوال تلك الأيام .

رن جرس الباب، وتقدم الجميع الى الأمام بالطريقة المثالية لأهل المزارع . . ليجدوا رجلاً متقدماً في السن أبيض الشعر،

وبلحية صغيرة، يقف بالإنتظار:

ـ أنا جايمس باربر.. أبلغي والدتك أنني هنا.

ـ والدتي؟

ـ أجل السيدة جيفرسون.. اليست والدتك؟

نظرت روبينا الى ثيابها الجينز، المغطاة بمريلة المطبخ. وشعرها الممشط الى الخلف وضحكت:

ـ تفضل.

وظل أمامها ينقل حقيبة أوراقه من يد الى أخرى ليصلح وضع عكازه.. قال معتذراً:

ـ إنه التقدم في العمر.. وربما تسارع وتيرة الحياة.. أين أمك؟

ـ أوه.. أجل.. أمي.. أظنك مخطيء.. أمي توفيت منذ سنوات عديدة.. أنا السيدة جيفرسون.

ـ أنت؟ أوه.. عفواً.. سيدة جيفرسون.. لقد أرسلتني شركة الإليكترونيات العالمية.. أنا مدرس متقاعد، أنا وعدة أساتذة متقاعدين أنشأنا تجمعاً يختص بالتأهيل لامتحانات الشهادة القانونية.

ـ حقاً؟ وما هذا؟

ـ العديد من المقاطعات بما فيها هذه، تعرف أن الكثير من الكبار ممن لم ينهوا تعليمهم الثانوي، يرغبون في الحصول على شهادة، ودون أن يكون هناك متاعب في الذهاب الى المدارس.

ـ لكنني لم أذهب الى المدرسة منذ سنوات.. ولا أظنني قادرة

على اجتياز أي إمتحان.

ـ ولهذا أنا هنا.. لأساعد على تعليمك في أي موضوع دراسي أنت ضعيفة فيه.. فهل نبدأ؟

تبين أنها بحاجة الى تنويه في الحساب، والدراسات الإجتماعية، ثم وبعد تدريبات مكثفة، وتعليم، صباح كل يوم ما عدا السبت والأحد، صرخ دماغها محتجاً ضد أية معلومات أخرى.. مع ذلك استمرت كل يوم بعد الظهر، في دراستها، ثم كانت تسرج فرستها لتتنزه عبر أراضي المزرعة المصلحة.

فجأة انتهى الصيف.. من فترة الى أخرى، كان أصدقاء والدها القدامى يأتون لزيارتها في المزرعة لاستعادة ذكرياتهم مع والدها، وكانوا يدعونها في المقابل لزيارتهم.

شهر تشرين الأول جاء ليحدد موعد سفر العمة الى لندن لإجراء الفحوصات استعداد للجراحة التجميلية.. ثم بموافقة السيد باربر بالمجيء بعد الظهر لمساعدتها في دروس الجبر.. ومرت الأيام الدراسية تلو الأخرى، واحداً واحداً.. لا يختلف واحداً عن الآخر.. وقال لها الأستاذ:

ـ دروس التاريخ جيدة، وكذلك اللغة.. لكن يجب أن تتدربي أكثر على الحساب.. تشجعي يا فتاة!

عادت العمة من لندن في طائرة هليكوبتر بيضاء مكتوب على جوانبها بالأحمر شركة المواشي، وكان يقودها واحد من الأخوة تيرانس.. ثم أوقفها خلف المنزل في بقعة خضراء حيث بدت كبطة بشعة راقدة.. ما أن تقدمت روبينا منها حتى قال لها.

ـ تحدثت مع الرئيس وقال لي أن أعلمك قيادة الهليكوبتر إذا رغبت. متى تبدأين؟

ردت بلهفة.

ـ ما رأيك الآن؟

لكنها كانت خائبة الأمل لتعرف أن المئة ساعة الأولى من التعليم كانت نظرية فقط، الإتصالات، الملاحة وعشرة مواضيع أخرى.. لكن حماسها للآلة كان يزداد، كلما فكرت بأبيها يقودها، وليو، وبالأهداف التي صممت على تحقيقها.

مرّ تشرين الثاني ليبدأ كانون الأول.. وتشارك الجميع ليلة الميلاد: هي والعمة، وعاملا المزرعة.. وكانت الرياح العاتية تهب من البحر فوق البحيرات، لتمر فوق المزرعة باتجاه التلال البعيده.. فجأة غطى الثلج كل مكان وبدت المقاطعة كلها جامدة خاوية، وكأنها تحت خطر غير عادي.

غادر الأخوات تيرانس الى منزلهما صباح الميلاد، وتركا المرأتين لوحدهما.. ونامتا باكراً لتستيقظا لحضور قدّاس الميلاد منتصف الليل، حين عادتا وجدتا سيارة شرطة تنتظرهما، وقال الشرطي الشاب:

ـ جرد «وردة عادية سيدتي، لدينا أوامر بحراستكما طوال فترة الأعياد.

ـ أيعني هذا أنكما عرفتما شيئاً عن أسرة مورغان؟

ـ لا.. فلقد هربا الى الجنوب.. وشوهد الشاب في مقطعة كرونويل لكنه تمكن من الهرب.. لا تقلقا، سنبقى نراقبكما عن

كثب.. ميلاد سعيد!

من بين الهدايا التي تلقتها للميلاد علبة موسيقية صغيرة تعزف لحن حب قديم مشهور كلما فتحت الغطاء. حملتها روبينا طوال اليوم.. ولم تكن تتوقع رجوع العاملين أو أستاذها قبل بداية العام الجديد.. ولم يكن يقاطع صفو المنطقة سوى زمور ساعي البريد، يعلن وضعه رسائل في الصندوق المخصص عند جانب الطريق.

كان هناك أربعة رسائل وصحيفتان، وضعتهما روبينا تحت معطفها، والهواء يجد طريقه عبر الأزرار.. وعادت الى المنزل.. الريح انتزعت باب المطبخ منها، فرمت المغلفات على الطاولة وعادت تتصارع معه بكلتا يديها.

جاءت لها العمة بفنجان شاي ساخن، تقبلته بسرور.. مستخدمة حرارته لتدفئة يديها.. وأعطتها عمتها مغلفاً:

ـ هذا لك.

كان للمغلف عنوان إعادة في حال عدم الإستلام «دائرة المدارس الرسمية، مقاطعة البحيرات» وكاد الفنجان يقع من يد روبينا لهفة، وبعد الكثير من التعثر، أخرجت رسالة من صفحة واحدة: «يسعدنا أن نبلغك أنك نجحت في إمتحان معادلة الشهادة الثانوية بمعدل يبلغ ٪ ٩٥.٥. وسنرسل لك الشهادة بالبريد في الوقت المحدد» وهذا يعني بعد رأس السنة الجديدة... نجحت..! بعد كل التعب والدموع! ودست الرسالة تحت أنف عمتها، ثم صاحت بحبور، وتوجهت الى طاولة في الزاوية حيث الكتب والدفاتر ترميها في الهواء: لقد فعلتها.. فعلتها.. لا مزيد

من الدرس بعد اليوم!

قاطع الهاتف فرحتها.. بقي صامتاً لعدة أيام.. حتى أنهما أجفلتا معاً.. وسارعت روبينا للرد:

ـ آلو؟

ـ روبينا، أنا لينا هايلاند، أظنك سمعت الأخبار من دائرة المدارس؟

ـ منذ دقيقة فقط.. كيف عرفت؟

ـ أوه.. لدي جواسيس في كل مكان.. هل حصلت على علامات جيدة؟

ـ أجل.. ٩٥.٥٪.. وأظن هذه علامات عالية.. السيد باربر رائع، وأرجو أن ترسلي لي الفاتورة.

ـ أظنها مدفوعة، من فوائد الإستثمار في مصرفك. والآن، هل أنت مستعدة للمتابعة؟

ـ أجل.. أكثر مما مضى.. أظن أن هناك فترة إنتظار، حتى الفصل الثاني.

ـ لا.. لا أظن هذا.. تكلمت مع مدير قسم التسجيل في جامعة كارليل، ووافق على قبولك، وستبدأين مع فصل الربيع، وسيبدأ في العاشر من كانون الثاني.. هل هذا مناسب؟

ـ لا.. إنتظري لحظة، عمتي متى ستعودين الى لندن؟

ـ في السادس من كانون الثاني، هل من مشكلة؟

ـ لا أبدا.. تاريخ مناسب لينا.. ماذا عليّ أن أفعل؟

ـ في السابع، وهذا يوم جمعة، أريدك المجيء الى مكتبي، حوالي

الساعة التاسعة، وسيكون هنا شاب سيساعدك على التسجيل، وأرجو أن تدبري أمر إقامتك هنا خلال الأسبوع، والعودة الى المزرعة في نهايته.. أيرضيك هذا؟

ـ أتعني أنك وجدت لي مكاناً أقيم فيه؟

ـ لا أظننا لن نقدر على إيجاد غرفة لتلميذة واحدة.. أيرضيك هذا؟

ـ أظنها معجزة صغيرة.. وأشعر أنني وجدت فيك الملاك الحارس، شكراً لك سيدة هايلاند.. لينا.

تلك الليلة جلست على فراشها، تحس بأصابع ألم تتسلل الى رأسها.. أجل.. يجب أن أكون أسعد فتاة في العالم.. لكن، لماذا أصحو كل ليلة في منتصفها وأنا أبكي؟

www.elromancia.com

- ٦ -

المرأة الأخرى

أول ثلاثة أسابيع لروبينا في الجامعة مرت بسرعة حيث لم يكن لديها وقت لتقيّم وصفها، وتعلمت الكثير خلالها. . قابلت لينا هايلاند، لتجد أنها امرأة رائعة فاحمة الشعر في حوالي الثلاثين من عمرها.

أما الاستقرار. . فهذا سؤال كبير. . فكما كان متوقعاً لم تجد غرفاً في حرم الجامعة، ولا شيء يناسب ضمن ميلين مربعين منها. . واقترحت لينا:

بما أن ليو مسافر في أوروبا، والشقة فارغة، فلماذا لا تستخدمها؟

وفعلت هذا بسرعة، دون أن تجد الشجاعة لتفرغ حقائبها حتى نهاية الأسبوع الثاني. . وكانت الشقة مناسبة، فهي لا تبعد كثيراً عن الجامعة، وتوفر مكاناً توقيف سيارتها. . لكن ذلك السرير المائي، كان يحمل لها ذكريات عديدة. . في الأسبوع الأول بالكاد استطاعت أن تنام، وبقيت مستلقية، تتركه يدور أمام سماء كرونويل طوال الليل، إلى أن يهدهدها صوت السائل في داخل

الفراش لتنام.

في نهايات الأسبوع، كانت تجد الهلكوبتر دائماً حاضرة، يقودها إما تيم أو توم تيرانس. . وكانا يستخدمان الرحلة إلى لندن، كساعات تدريب طيران لها بعد أن أنهت دروسها الأرضية.

في المستشفى وجدت أن عمتها تتعافى ببطء، لكن بروح مرتفعة، كانت تمضي طوال يوم السبت معها، ثم تعود إلى كارليل مساء السبت، وتمضي يوم الأحد بالراحة، لتعود إلى دراستها أيام الاثنين والأربعاء والجمعة، مع ساعتين من الاجتماعات يوم الجمعة ولا شيء ليوم الأربعاء.

كانت ليلة من ليالي الشتاء المثالية، والقمر يطل شاحباً من بين الغيوم المتدفقة من الشمال، والحرارة تتأرجح فوق نقطة التجليد، والريح تعصف.

حوالي الثانية صباحاً، صحت على صوت، صوت غير محدد قد يعزوه المرء عادة إلى الريح، ابتسمت روبينا لإجفالها. . وعادت إلى النوم، لكن بكل تأكيد هناك صوت!

وقع أقدام كانت تصعد من الشقة التي في الأسفل إلى فوق! أهو لص بعد منتصف الليل. . لكن أين الحرس في المدخل؟

امتدت يد لتضغط زراً حوّل النوافذ إلى مغشاة. . دون وعي، تراجعت حتى أول الفراش، ورفعت ركبتيها تدفعها بقوة إلى معدتها. . وتصاعد ذعرها، يسد حنجرتها، ويضغط على أنفاسها. . لفت ذراعيها على ركبتيها وجلست ترتجف.

امتدت الذراع المجهولة ثانية، وأدارت الأنوار، فانتشرت منخفضة.. شهقة تعرفها أجفلت الرجل، فاستدار إليها.. ثم رعد:

- يا إلهي! إذن هاهنا تختبئين!

أرادت روبينا أن ترد عليه صائحة.. ترغي وتزبد، وتقول له بعد الحقائق الثابتة.. لكن لا شيء خرج منها.. وبينما دماغها المندوخ يحاول جمع نفسه، كان جسدها الأبله يتولى القيادة. فقفزت من السرير وركضت إليه، ترمي نفسها في أعماق ذراعيه.

بلهفة ضمت نفسها إليه، تحاول أن تتلاشى فيه، والتفت ذراعاها حول عنقه، تشد نفسها إلى فوق على أطراف أصابع قدميها، وأخذ قميصه من تحت السترة يمتص كل دموعها.

داعب شعرها المشعث:

- هاي.. مهلك الآن سيدتي الصغيرة.. مهلك حبي.. لم أقصد أن أخيفك.

- لم تخيفني إلى هذا الحد.. الأمر فقط.. أوه.. ليو.. لقد اشتقت إليك..! ظننتك نسيتني.. بعد الأشياء التي قلتها لك.

جرّها إلى السرير وجلس ليضع جسدها المرتجف على ركبتيه، ودست وجهها في صدره، محاولة تجنب نظرته المتفحصة. ورفع لها رأسها:

- هاي.. لا يمكنني أن أنساك أبداً.. هل أنت أفضل الآن؟

وعاد إلى ضم رأسها إلى صدره.. فتمتمت:

- أجل.. لم أقصد أن أستخدم الشقة، لكن لينا قالت...

- آه.. لينا.. هذه امرأة يجب أن تقدم لي الكثير من التفسير.. أين هي؟

- إنها في إجازة.. ذهبت وزوجها إلى «برو» قالت شيئاً عن صيد السمك، فشارل يحب صيد السمك.

- أجل.. وهي تكره صيد السمك..

- لماذا لم ترسل خبراً بعودتك؟ لقد عدت أليس كذلك؟

ضحك:

- أجل لقد عدت.. في الواقع مضى على عودتي أسبوع تقريباً.

- أسبوع؟ وماذا كنت تفعل دون إخبار أحد؟

- هاي.. مهلك! سأقول لك ما كنت أفعل.. كنت أفتش عنك لأقول لك أنني عدت.

وأخذ نفساً عميقاً، ورفعها عن حجره، ليرميها على السرير. تراجعت بسرعة بضع أقدام على السرير، يداها المرتجفة تتحرك إلى شعرها المشعث، لتملسه، ثم تسدله إلى الأمام.. تستخدمه لإخفاء وجهها..

قال ضاحكاً:

- لا تكوني حمقاء.. لن أفعل لك شيئاً، فأنت في الثامنة عشر فقط!

صاحت به بغيظ:

- نفس القصة القديمة.. هه؟ مجرد طفلة.. أتعلم أن أمي كانت في السابعة عشرة حين تزوجت أبي، وفي الثامنة عشرة حين ولدتني؟ أتعرف هذا؟

www.elromancia.com

بدا شيء من المرح في عينيه:

ـ لا.. لم أكن أعرف.. وأنت لست كأمك.. فلنبتعد عن هذا الفراش الليلة، أريد التحدث إليك.

وقف متجهاً إلى الخارج.. فأمسكت روبها الأخضر القديم، ارتدته ولحقت به، لكن حين وصلته كان في المطبخ يسخن الماء لأجل تحضير القهوة الجاهزة.

جلسا على طاوة المطبخ يحتسيان القهوة.. وقال لها:

ـ حسن.. لقد وجدتها.

ـ وجدت من؟

ـ ايموجين.. إبنة جدتي بالعرابة.. ألا تذكريها؟

ـ ليس تماماً.. بلى أذكرها.. لها علاقة بالوصية، أليس كذلك؟

ـ أوه.. هيا الآن روبينا.. فأنت تذكرين كل شيء عن الأمر، أليس كذلك؟

ـ أجل.. كل شيء.. أخبرني ماذا حدث.

ـ وجدتها في باريس، وأعدتها معي.. تقول إنها مصابة بالسل، لكنها رفضت أن أستدعي لها الطبيب.. وجدتها في المستشفى التابعة للدولة.. مريضة فقيرة.. أتعرفي هذا؟

تنهدت روبينا في سريرتها.. لو عادت المرأة جميلة، غنية، أو فقيرة، مثيرة للإهتمام لحاربتها.. لكن أن تعود مريضة.. إنه لا يمكنه أن يرفض استقبال شخص مريض، وها هي ايموجين نورث الآن، قد أكملت إطباق الفخ حوله! إنها شبه ميتة.. ولا تدري

روبينا أتضحك لهذه المفارقة أم تبكي..!

ـ إنه أمر مؤسف حقاً..

رد ساخراً:

ـ لا تبالغي في حزنك.. فالفتاة مريضة حقاً..

ـ لم أقصد السخرية.. ماذا أستطيع أن أفعل لأساعدها؟

ـ كنت أعرف أنك ستقولي هذا.. أكره أن ألجأ إليك دائماً لكنني أحتاجك الآن.

ـ وماذا تريد مني؟

ـ لست أدري كيف أبدأ.. إنها الآن إنسانة مختلفة.. ذلك النذل الذي تزوجته تركها، وطلقها في بلجيكا، تركها دون مال، فاضطرت إلي.. حسناً الكلمة صعبة عليّ لأقولها..

ساره فالكون قالت بعد يومين من وجودها معها أنها تفضل الاستقالة على أن تعمل مع هكذا امرأة..

ـ أنا واثقة أن سارة ستتكيف معها.. فهل تريدني حقاً أن أذهب معك لأكون مدبرة منزلك؟

ـ هذا بالضبط ما أريده، فمع وجودك، لا تعود سارة محتاجة إلى دليل من يسيطر على المنزل.

ـ اسمع.. الساعة الآن الثالثة والنصف.. وأنا مضطرة إلى العمل في الثامنة والنصف صباحاً.. فدعك من هذا ليو.. أنت تعرف جيداً أنك قادر على استئجار عشرة مدبرات للمنزل، وعشرة آلاف ممرضة..

www.elromancia.com

- ماذا تعني أنك مضطرة للعمل؟ هل خدعك المحاسب مرة أخرى؟ سأقتله لهذا! ماذا حدث؟

- لا.. ليس الأمر ما تظنه.. ألم تقل لك لينا؟ أنا.. أنا.. عدت إلى المدرسة.. أنهيت الثانوية، وأنا الآن في السنة التحضيرية للجامعة.

الخبر، جعله يجلس مرتاحاً، مسترخياً، وعادت الإبتسامة إلى وجهه، ليقول ضاحكاً:

- تعجبني الفكرة.. إنها عظيمة!

- حسناً.. إنها فترة تجربة، فإذا نجحت حتى شهر أيار فسيثبتني مجلس الإدارة.

نظر إليها مبتسماً:

- أنا فخور بك سيدتي!

- عظيم.. والآن قل لي لماذا لا تستأجر مدبرة منزل؟ فأنا لا أستطيع التواجد هناك سوى في نهايات الأسبوع ويوم الأربعاء.

- عظيم.. فهذا يكفي، مع وجودي في الصباح و...

- هذه مواربة.. كن صريحاً.. وأخبرني الحقيقة.. أرجوك.

- الحقيقة؟ أوه.. أجل الحقيقة.. المشكلة ليست سهلة.. حسناً.. ايموجين تظن أن المنزل، بما فيه أنا، تركته الجدة لها في الوصية.. وهذا شيء لا أريد تشجيعه.. إسمعي روبينا.. أعرف أن الأمر أصبح عتيقاً لك، لكنني أحتاج إلى حمايتك كزوجة في ذلك المنزل مرة أخرى!

- أوه.. لا..! ليس هذا مرة أخرى!.. وماذا ستكون القصة

التي ستغطينا؟.

- أمر بسيط، سارة وتود يسألان عنك دائماً، وكنت أقول لهما أنك في لندن للإشراف على جراحة عمتك..

- أتعرف عن هذا؟

- أجل أعرف.. إهدأي.. أنا من دبرت أمرها.. كنت وعمتك نتكلم مرتين في الأسبوع.. لكن الغريب أنها لم تقل لي شيئاً عن دراستك.. وهاك القصة «الغطاء» كنت في المستشفى مع عمتك، وستعودين إلى كارليل يوم الاثنين.. أعني اليوم.. بعد الجامعة، ستقابليني هنا في المكتب.. والآن لماذا لا نغمض عيننا قليلاً، قبل اضطرارنا للعمل غداً.

وقفا معاً، وعانقها راضية وتمتمت:

- لكن تذكر، إنني عروس بالإيجار، ولست حقيقية ليو جيفرسون! ويجب أن تبتعد عن فراشي ولا تحاول إغوائي.. في الفراش أو خارجه، موافق؟

- إنها صفقة صعبة.

تراجعت الى الوراء تنظر إلى وجهه لترى في عينيه لمعان.

كان ليو وسط إجتماع عمل مطوّل حين وصلت المكتب، عائدة من الجامعة مساء اليوم التالي، وأمضت نصف ساعة أخرى تقرأ مجلات غربية في غرفة الإنتظار.. تتمتم لنفسها.

- لماذا أنا قلقة..؟ لست مسؤولة عنه.. ليس والدي وليس أي شيء!

سألتها لينا وهي تدخل الغرفة:

ـ ماذا قلتي؟

ـ لا شيء.. كنت أكلم نفسي.

ـ حسناً.. سيتأخر ساعة أخرى.. ويقترح عليك الصعود الى الشقة لتنامي.. سيأتي حين يتمكن.

لكن، حتى بين أحضان الفراش المائي، لم تستطع أن ترتاح والى الوقت الذي جاء فيه ليو، كانت قد أقنعت نفسها، أن سوء يومها كله كان غلطته. ونتيجة لهذا، كان اللقاء الذي حصل عليه يميل الى جانب البرودة.. والرحلة الى منزله تمت بصمت كامل. حين توقف أمام المنزل، فتح لها الباب وأمسك ذراعها، ولم تستطع الخلاص منه. فقال:

ـ أرى أن هناك شيئاً خاطئاً، من الأفضل أن نسويه قبل الدخول.

ـ إنها غلطتك.. كان يومي سيئاً وكل شيء غلطتك!

ضمها إليه، فدفنت رأسها في صدره، ملس شعرها مهدئاً.

ـ بالطبع.. كل شيء غلطتي.. همست.

ـ أنا بخير الآن.

ـ واثقة؟

ـ أجل.. أكان يجب أن أغير ملابس الجامعة؟

ـ لا.. وأشك أن تكون إيموجين مستيقظة.

ـ ألم تخبرها بشأني؟

كان لا زال هناك نور يكفي لترى وجهه يشتد إحراراً.

ـ حسناً.. أنا..

ـ لم تقل لها.. صحيح؟ أيجب أن أفعل هذا بنفسي؟

ـ هذا ما أخشاه.. يبدو أنني فقدت شجاعتي أتمانعي؟

تنهدت:

ـ أبداً.. أنا جاهزة.

أحست أنها تعود الى منزلها، فقد فتح لها الباب، وأحست أن المنزل كله يمد لها نفسه ليستقبلها ويرحب بها.. كانت تنظر الى كل شيء الآن بعين جديدة.. لقد شاهدت كل شيء من قبل، لكنها لم تكن قد لاحظت كل شيء. هذه اللوحات، أسلاف عائلة جيفرسون! تنهدت إرتياحاً وهي تسند نفسها الى ذراعه، وربت يدها فخوراً كمالك سعيد.. وابتسم تلك الإبتسامة النصف ممازحة التي تغيّر معالم وجهه..

كان ليو على وشك قول شيء حين إنفتح باب المطبخ فجأة وخرجت سارة فالكون، وصاحت في وجهه:

ـ هذا آخر المطاف! أصعد وأنزل أصعد وأنزل، أتظن أن لدي مكنسة ساحرة؟ يالها من طريقة تصدر فيها الآوامر! وقفت هنا وطلبت العشاء في فراشها، ثم صعدت وكأنها الملكة. لا بد أن هناك خللاً في عقل هذه الفتاة.. خاصة وأنت غائب عن المنزل! حسناً.. ليس هذه المرة! وضعت الصينية على طاولة جانبية، وكتفت ذراعيها:.. لحظتها فقط شاهدت روبينا.

ـ أوه.. روبينا! يا إلهي كم أنا مسرورة لعودتك! تود سيطير فرحاً لعودتك. لطالما كانت عينه على الفتيات الجميلات..

تقدمت تعانقها، تربت كتفها بحب واحترام، فضحكت روبينا:

ـ طبعاً، وإلا لما تزوجك:

قاطعها ليو:

ـ أخبريني ما حصل، ماذا جرى للفتاة التي إستأجرتها لك.

ـ تركت العمل، هذا ما حصل... واستأجرت إثنتين غيرها أحداهما تركت عند الظهر.. والأخرى منذ دقائق.. يبدو أن السيدة الشقراء قالت لهما شيئاً بزيئاً بلغة وسخة.. ورمت إحدهما بإبريق ماء.

ـ لكنها مريضة سارة..

سخرت صائحة:

ـ ياه.. مريضة! لم تستطع تناول شيء من الطعام ليلة أمس وأنت موجود. ثم، ما إن خرجت من المنزل حتى طلبت وجبة مزدوجة، وعشاء في منتصف الليل، ونصف دزينة من فناجين الشاي.. والآن.. إنظر الى هذا! قالت إنها لن تنزل العشاء لكن إرسلي لي فقط.. حسناً أنظر بنفسك ماذا طلبت.

تمتم ليو شاتماً، وضحكت روبينا.. إبريق قهوة، سندوشات من اللحم ودزينة من البسكويت الكبير الحجم.. وقالت روبينا:

ـ يبدو أن لديها جوع عتيق لا مرض السل.

صاح ليو:

ـ هذا إفتراء.. أنا واثق أن هناك تفسير منطقي.

صاحت سارة بالمقابل:

ـ أنا واثقة من هذا.. فلماذا لا تحمل لها الصينية بنفسك وتسألها.

تدخلت روبينا بينهما:

ـ لا بأس.. لا بأس.. تراجعا.. كلاكما.. سأخذها بنفسي.. خذي سترتي سارة.

تنهدت سارة:

ـ أوه حبيبتي، لا أقصد إزعاجك.. خاصة في أول يوم لك في منزلك.

ـ أوه.. لا تكوني سخيفة.. من السيدة هنا؟

ـ بالطبع أنت.. دعني آخذ معطفك.. ليو.. أنظر الى هذا! ألا تخجل من نفسك وزوجتك ترتدي خرقاً بالية؟ عصابات الشوارع ترتدي أفضل منه!

ضحك ليو:

ـ لا تنظري الي.. ليس لي رأس فيما ترتديه.. عودي فوراً زوجتي.. سنتناول العشاء في..

قاطعته:

ـ في المطبخ سارة. حضري الطعام واذهبي الى النوم.. سأهتم بكل شيء.

كانت إيموجين تحتل نفس الغرفة التي كانت الجدة فيها.. لكنها تعرضت الى تغيير شامل.. تغيرت الستائر السميكة والأثاث القديم، ليحل مكانها أشياء حديثة، وسرير من حجم كبير، على شاكلة ما نراه في السينما.

والملكة كانت تجلس الى جانب السرير، تستعد للسع:

ـ أوه يا للمساء.. وعاء زبالة آخر..! اليس في المطبخ أحد

يعرف كيف يلبس؟

لا بد أن الصوت كان يوما صوت جميل، لكنه الآن سميك أجش، يخرج من جسم نحيل صغير، لا يزيد طولاً عن المتر ونصف، مع وجه أسمر شديد الهزال يحيط به شعر أسود، وضعت روبينا الصينية على طاولة أمام النافذة.. واستدارت تقول:

ـ آنسة نورث.. أنا..

صاحت تقاطعها:

ـ سيدة دارمان.. ونادتني سيدتي! ألا يعلمكن أحد أي شيء، من الأدب؟ اليس لديك فستان؟

نظرت روبينا الى يدها الممدودة للتحية وضحكت.. منذ ستة أشهر كانت ستبكي.. لكنها تجد الأمر الآن مسلياً.

ـ سيدة دارمان.. خسناً.. هذا يسهل الأمر.. وربما كان من الأفضل أن أغير ملابسي فقط لأرضي ليو.. وهو قانع تماماً بما أرتديه.. القهوة ساخنة جيداً.. أتريدي أن أصب لك فنجاناً؟ ليس لدي وقت كثير، لكن هذا كان لأن نتعرف.

ـ لا تعتمدي على هذا كثيراً.. لا تبدين أفضل من الأخريات. ماذا حصل لهن؟

ـ تركا عملهن.. وبالطبع سأجعل ليو يجد لهن عملاً آخر. فلا أحد يخسر عمله في المنزل آل جيفرسون.

ـ عما تتحدثين بحق الشيطان؟.. ومن أنت ؟

ـ أنا.. إسمي روبينا جيفرسون ظننتك تعرفين.

ـ لا.. لا أعرفك.. روبينا جيفرسون؟ لا أذكر أحداً بهذا الإسم في العائلة.. أتحاولين التلاعب معي؟

ـ ربما ستعرفين أكثر بإسمي الرسمي. .أنا السيدة ليوجيفرسون.

الصيحة التي تلت رجت زجاج النوافذ:

ـ أنت كاذبة لعينة! لا يفعل أحد معي هذا.. لا أحد!

ـ إذن.. ربما لا أعرف ما هي مشكلتك.. لقد تزوجنا قبل موت جدته بقليل.. وكنا نأمل قبل موتها أن.. حسناً.. لا ضمان لهذا!

صاح بها ضميرها: توقفي عن المبالغة بدورك! إبق في المسار المستقيم الضيق! لقد قال العم راندولف يوماً: إذا أردت الكذب فلتكن الكذبة بسيطة.. ومن يعرف عن الكذب أكثر من العم راندولف! وأكملت:

ـ ألست بخير سيدة دارمان؟

ـ لا لست بخير.. ساعديني على العودة إلى السرير..

إنها تريد ليو.. لكن ليو لي.. كل شيء جائز، وكل شيء عادل في الدفاع عن الحب!

دون أن تنظر الى خلفها، تركتها وأقفلت الباب ورائها، لتسمع على الفور صوت تحطم شيء. وأسندت ظهرها إلى الباب تتمتم: كانت جرعة الدواء كبيرة عليك.. اليس كذلك؟

بعد أن تناولت العشاء مع ليو، حضرت لايموجين صينية من السلطة وقطعة لحم رقيقة، وملعقة بطاطس مهروسة، مع قليل من الصلصة على صحنها وفنجان شاي ليو:

ـ يبدو أن هذا هو الطعام المناسب لمريضة معقدة.

أدارت رأسها بسرعة تخفي إبتسامتها:

ـ لماذا لا تأخذها لها إذن.

ـ لا تسخري مني قطتي.. إنها مريضة معقدة، وتعرفين هذا.

ـ أعرف.. ولا تناديني قطتك. أكره الإسم. فهو إسمها.

ـ لماذا لا نصعد معاً؟

كانت إمرأة مختلفة التي رأتها روبينا حين دخلت مع ليو غرفتها.. كانت لا تزال في الفراش، وسادتين خلف ظهرها لترتدي ثوب نوم أخضر مشجّر، عالي الأزرار، شعرها يلمع لشدة تمشيطه، وجهها مزيّت بنعومة وإتقان، لتصبح الصورة المثالية عريضة فاتنة، قالت بصوت محطوط:

ـ ليو.. كم رائع منك أن تتعب نفسك! وزوجتك الشابة أيضاً.. أصابني العجب حين التقيتها هذا المساء.. لكن لا قابلية لي..

وضع ليو الصينية على ركبتيها، وشغلت روبينا نفسها بإقفال الستائر، حين عادت كانا مستغرقان في الحديث من نوع «أتتذكر».. أوه، ماذا تنتظرين إذن؟

لاحظت روبينا أن الصينية السابقة فارغة، فقد التهمت كل ما فيها وجففت إبريق الشاي.. وها هي تكافح في تناول الصينية الجديدة!.. وتنهدت قائلة:

ـ هذا كثير عليّ.. لا شهية لي هذه الأيام ليو..

ـ هذا متوقع.. لكن عليك الإبقاء على قواك، هذه البطاطس

المهروسة رائعة.. تضع فيها أعشاباً مطيبة.. افتحي فمك.

يا إلهي.. سيطعمها بيده! ما هذه التمثيلية! لكن لماذا انزعج؟ لماذا؟

تقدمت تربت على كتفه.. استدار مجفلاً وكأنه نسي وجودها.. وقالت بهدوء:

ـ لقد كان يومي طويلاً.. وأمامي الكثير من الدرس لأعمل به.. فلو عذرتماني معاً.. سآخذ الصينية إلى المطبخ..

رفعت ايموجين رأسها بابتسامة توّاقة:

ـ دراسة؟

رد ليو:

ـ أجل.. روبينا تدرس في الجامعة.. كنا نفكر أن تنهي دراستها أولاً، لكن الجدة أصرّت على أن لا نؤخر الزواج.. وأظن أن الوقت متأخر لنا جميعاً نامي إيموجين.. لن أذهب إلى العمل غداً، لذا سيكون لدينا وقت طويل للكلام.

قالت المرأة، بدعوة ظاهرة:

ـ بإمكانك البقاء هنا ليو، فأنا واثقة أن عروسك لن تستطيع الدرس وأنت معها.

ضحك:

ـ صحيح لكن.. للحقيقة أنا أساعدها كثيراً، على أي حال لم يمر على زواجنا سوى ثلاثة أشهر.

حين خرجا، أجبرته على التوقف بعناد عند رأس السلم. وصاحت به:

ـ حسناً نحن خارج المسرح الآن.. فدعني وشأني أيها المتوحش!

وضع إصبعه فوق شفتيها.

ـ لديها سمع مرهف.. فهل تصرفت شيئاً خاطئاً؟

ـ تعرف جيداً أن لا شيء خاطىء أيها الفاسق.. بل كل ما جرى في الداخل.. أتذكر هذا؟ أتذكرين ذاك؟ ما الذي تحاول أن تفعله تلك المرأة، تحاول إعادتك إلى قفصك؟

ضحك:

ـ أعتقد أنك تغارين.

ـ أغار؟ اللعنة!

حاولت جهدها تقليد إيموجين:

ـ أوه.. عزيزي ليو..! ما الذي تظن أنني؟ مصنوعة من فولاذ؟

ـ وهل جرحت كبرياءك؟

ـ لا.. لم تجرحني.. بل تمكنت من تحطيم ضلعين أو ثلاثة.

ـ يا إلهي! صحيح؟

ـ أجل.

قبل أن ترد أكثر، حملها بين ذراعيه إلى جناحهما، كان الباب مفتوحاً فأقفله خلفهما بضربة قاسية من كعب حذاءه. وأوصلها إلى السرير. فصاحت به:

ـ ماذا ستفعل الآن؟

ـ سأتفحصك.. لا ينفعني وجود زوجة مصابة. خاصة وهي

نجمة التمثيلية.

ـ دعني وشأني! واهتم بشؤونك!

كانت تقوم بجهدها لتعيد التنظيم إلى جسدها المتمرد. وأخذت مشاعرها تتجمع لتصل إلى نقطة لا سيطرة عليها، لكنها يجب أن تسيطر! إبدأي العد البطيء.. ليس إلى العشرة، بل إلى الألف!

قالت بهدوء:

ـ لست بحاجة إلى شيء منك.. ما أحتاجه هو القليل من الخلوة بنفسي!

ـ ربما دوش بارد.

ـ ولا أحتاج إلى دوش بارد.

ـ لكنك ترتجفين.. أنظري إلى نفسك.

ـ أرجوك أخرج من هنا، ودعني وشأني!

تخلى عن نظرة المزاح وقال متجهماً:

ـ طبعاً.. لست أدري ما شعورك نحو إيموجين.. لكنك كنت صدمة لها.

ـ وهل نجحت؟ أنا لست ممثلة بارعة.

ـ كنت متفوقة.. ولم تتح لي الفرصة من قبل لأقول لك كم أنت ناجحة في دورك.

ـ لكنك وإيموجين، مقربان جداً.

ـ أجل.. حين كنا أطفالاً.. لكن بعد ذهابها إلى الثانوية، أصبح الأمر مختلفاً.. لكنها كانت مهمة لي، وأظنها لا زالت.

ـ إلى درجة إضطرارك لاستئجار عروس لحماية نفسك منها؟

www.elromancia.com

ـ مهمة أجل . . لكن الزواج لم يدخل بالي يوماً . أيريحك هذا؟

ابتسمت :

ـ أجل . . ! وأنت لم تجرحني في الواقع . . بل كنت غاضبة .

لامس أنفها :

ـ تابعي تقدمك، لقد تغيرت كثيراً، والعالم ينفتح للمثقفين مهما كان طموحك، أتمنى لك النجاح .

أخذ يعبث بشعرها ممازحاً فشدته من يده، ليفقد توازنه ويقع فوقها، وكان لا زال يداعب شعرها وهي تضحك محاولة الخلاص حين انفتح الباب ودخلت إيموجين . . فتوقفا فوراً عن اللعب، يحدقان بها، نظرت إليهما بعناية وحذر ثم قالت :

ـ حسناً . . أنا آسفة . . كنت أستكشف المنزل لأتذكر الأيام الماضية، ولم أدرك أنكما . . .

قال ليو مؤنباً :

ـ إيموجين! لا بد أنك تلاحظين أننا . . . مشغولان الآن . . فهل تعذرينا . . أرجوك؟

ولكي يثبت وجهة نظره لف ذراعه على خصر روبينا . . حدقت المرأة بهما بحدة، ثم استدارت ببطء لتخرج وتصفق الباب ورائها .

سارع ليو إلى الخروج عن السرير وتحرك إلى كرسي هزاز وقال :

ـ هناك شيء نسيت أن أقوله لك . . استأجرت تحرياً خاصاً لملاحقة السيدة دارمان . . وهو يفعل هذا طلبت منه أن يراقب العم راندولف .

ـ راندولف مورغان؟

ـ هو بنفسه، ولقد وجده في باريس كذلك، حيث التقيت به . . وتبادلنا حديثاً طويلاً . . لم يعد ذلك الرجل الذي كان . . أتعرفي أن ما سرقه منك بلغ أربعماية ألف جنيه؟ وهو الآن يستثمر ماله في سندات خزينة للدولة في فرنسا . . وعرض عليّ التعويض عليك شريطة أن لا تقيمي دعوى قضائية ضده .

ـ لست آبه له، طالما يبقى بعيداً . فالعمة لاورا كما أعتقد تحب لو تتحرر منه .

ـ لقد أعطاني بعض الأوراق : وكالات، شهادات ميلاد، ترخيص زواج . .

ـ واو . . قل هذا مرة أخرى . . ترخيص زواج . . بالمفرد؟

ـ هذا صحيح، عمك راندولف تزوج عمتك لاورا دون أن يطلق زوجته الأولى . وهذا يعني أن عمتك يمكن لها طلب إلغاء زواجها منه إذا أرادت، ويمكنني تدبير هذا قبل أن تنتهي من جراحتها التجميلية، ما رأيك؟

ـ أنت رجل رائع!

نظر إليها مطولاً :

ـ يا إلهي يجب أن أخرج من هنا . . قبل أن . . .

وركض نحو الباب .

www.elromancia.com

- ٧ -

الاختطاف

أقبل شهر آذار كالأسد. . وجاء معه بالربيع. . وتلاشت قبضة الشتاء القاسية عن المراعي والحقول، وبدت الدنيا بحلة أبهى وأسعد. حتى الحيوانات بدت وكأنها بدأت حياة جديدة. . ثم إنتهى آذار، كالأسد أيضاً. . لكن وحدها إيموجين لم تستجب لتغيير الفصول.

بدلاً من أن تتحسن، كانت تبدو منهكة وشرسة معاً أكثر فأكثر، وسليطة اللسان أكثر. . ليس في فمها كلمة نظيفة لأحد. . إلا بالطبع لليو. . خرجت باكراً في الأول من نيسان مع تود الذي كانت ترهقه بقيادة السيارة وعادت متأخرة، لتعلن وقت العشاء:

ـ لن يطول الأمر بعد ليو. . لم يبق سوى شهر. . هل فكرت بالأمر؟

ـ أتعني حول عرضك بالنسبة لهيل سايد؟

ـ أجل، وماذا هناك نتكلم عنه؟

ـ ليس الآن فيما بعد. روبينا لا تهتم بهذا الموضوع، لنفتح حديثاً نتمتع به جميعاً.

ـ تتحدث مع هذه الطفلة؟ وبماذا كنت تفكر يوم تزوجتها صاحت بها روبينا.

ـ لقد سئمت منك. . أنا لست طفلة!

لكن النظرة في عين إيموجين، أبلغتها إنها بهذه الثورة، أثبتت أنها طفلة. وقالت المرأة:

ـ كل ما أنت بحاجة إليه أن تثبتي هذا. . كم عمرك يا طفلة؟

ـ هذا ليس من شأنك.

ـ هناك أمراً آخر قيد الإهتمام. . سمعت أنك كنت مخطوبة لشخص قبل ليو. . نسيت إسمه.

ربتت شفتيها بالمنديل والتفتت الى ليو:

ـ أتعرف شيئاً مضحكاً. . يبدو أن لا أحد يذكر أين تزوجت. أليس هذا أمر مدهش؟

صاح بها ليو:

ـ ألا تظني أنك تدربت على الاستهداف ما يكفي هذه الليلة؟ روبينا أصغر منك سناً بكثير. . وماذا في هذا؟

ـ لا تقل لي هذا ليو جيفرسون. . أعرفك ولداً وشاباً ورجل. . وإذا لم يكن دفاعك عنها سببه الذنب، فأنا لا أعرف شيئاً!

ـ إذن لا تعرفين شيئاً.

ودفع كرسيه عن الطاولة، واستدار الى روبينا، يساعدها على الوقوف، ليضمها اليه مواسياً!

ـ روبينا وأنا متزوجان منذ ستة أشهر، والمرأة في مثل حالتها تميل للبكاء والإكتئاب من حين لآخر.

قفزت إيموجين عن كرسيها، ودفعتها الى الزاوية:

- اللعنة عليك! اللعنة عليكما معاً! أيها الحقيران.. أنتما تستاهلان بعضكما.. أيها الزوجان...

واختفى بقية كلامها بعد أن صفقت باب غرفة الطعام حولها.. وأطلت السيدة فالكون رأسها منه تسأل:

- ألم يعجبها الحساء؟

التصقت روبينا بليو تبكي بارتياح الى أن لم تعد عيناها تزرف الدموع. مسح لها عينيها، فتح لها المنديل لأنفها.. ثم عادا الى مقعديهما ليتابعا الوجبة وكأن شيئاً لم يكن..

لكن شيئاً ما تبلور من تلك المواجهة.. فمن ذلك اليوم وصاعدا، قامت إيموجين ما بوسعها لتجنب الفتاة الشابة، تبقى في الفراش الى حين ذهابها الى الجامعة، وتتناول الطعام لوحدها في غرفتها، تمضي وقتها مقفلة بابها، وتستخدم الهاتف.

وظهر شيء آخر.. ليو بدا قلقاً حول شيء ما.. كان يمضي ساعات يسير لوحده في الزرائب.. كانت تود روبينا لو تنضم إليه.. لكنه كان يرفض صحبتها.. هكذا كانت تمضي وقتاً مماثلاً في غرفتها قرب النافذة تنظر إليه، تتساءل كيف يمكن أن تساعده.. ثم بدأ عادة أخرى مؤلمة.. بعد العشاء كل يوم كان يعتذر ويصعد الى غرفة إيموجين ويقفل الباب وراءه.

بعد يومين من نهاية نيسان، واجتيازها إمتحانات الجامعة، وحصولها على رخصة قيادة الهليكوبتر، نزلت الى المطبخ لتسأل ماذا سيحل بسارة وزوجها بعد بيع «هيل سايد».

- أتعني أنك قلقة علينا؟ ألم يخبرك ليو؟ حسناً ليس بأمر كبير، لكن المتعهد إنتهى من توسيع منزلك وحين يقررا، أعني ليو وإيموجين، ماذا سيفعلا «بهيل سايد» أنا وتود سننتقل الى «ويندشلتر».

- إلا تريدينا أن نأتي؟

- بالطبع أريدكما.. لكنني مذهولة..هذا كل شيء.. حتى الفتاة الجديدة.. هذا رائع!

واستدارت تعانقها. فقالت سارة!

- أخرجي الآن من هنا وإلا لن أنهي الفطائر للغذاء.

لكنها بخروجها من المطبخ علقت بين براثن إيموجين.

- كنت أنوي الحديث معك، تعالي الى غرفة الجلوس.

أشارت الى المقعد:

- إجلسي.. سيكارة؟

- لا أدخن.

- ليس لديك الكثير من الشوائب.

في صوتها شيء ينذر بخطر، كهرير قطة متوحشة في غابة..

- أعتقد أن لدي الكثير، كما الآخرين، لكن التدخين ليس من بينها.

- يبدو أن سرقة الرجال على قمة الائحة!

- ماذا؟ أتعني ليو؟

- أجل.. ومن غيره في العالم.

- تجعلي الامر يبدو وكأنني سلبتك إياه.. أنت لا تعرفينه كما

تظني نفسك!

- بل أعرفه أكثر مما ستعرفينه طوال حياتك أيتها السافلة الحمقاء. لقد كبرت معه.. أتظني حقاً أننا عشنا طوال تلك السنوات دون شيء يحدث بيننا.. يا إلهي فلتحمني السماء من البراءة والسذاجة.. كنا عشيقان لسنوات.. تحت أنف العجوز.

- لماذا لم تتزوجينه إذن؟

- أخطأت.. ظننت درامان يملك مالاً أكثر.. ثم تبين أنه لاعب أربع ورقات أكثر من ليو.. أتعرفين حقاً لماذا تزوجك ليو؟

- أعرف بالطبع! أحبني، وأحتاج إلي، واحتجت إليه! فقط.. إبتعدي عن طريقي، فلو فقدت أعصابي حقاً.. فقد تتلقى لكمة على.. ماكياجك الجميل!

- على أي حال ما سأقول لك.. أيتها السافلة الحمقاء.. أنت المالكة الوحيدة لمزرعة، «ويندشيلتر» مع كل مناجمها الجميلة..

- وماذا في هذا؟

- لا أتوقع أن تقرأي الصفحات المالية في الصحف.. شركة المناجم، التي تدفع لك حق الإستثمار.. لا تنكري أعرف كل شيء!

- مرة أخرى.. وماذا في هذا؟

- الشركة في ورطة كبيرة، فهي لم تعثر على بئر جديد قبة فحم منذ ستة أشهر.. والخبر منتشر في منطقة البحيرات وفي بورصة لندن.. إذن، ماذا يفعل ليو؟ يخرج عن طريقه المعتاد ليلعب لعبة صغيرة مع الفتاة اليتيمة المسكينة، مالكة كل تلك المناجم.. ما

رأيك بهذا؟

- عمَ تتحدثين؟

- أتحدث عن ليو.. أيتها الغبية الساذجة! دعيني أوضح لك الصورة: ليو مدير شركة الإدارات، وماذا تدير الشركة؟ تدير شركة المناجم.. بالطبع.

همست روبينا بذهول:

- وشركة المواشي الغربية؟

- طبعاً.. وشركة الإليكترونيات العالمية.

وقعت روبينا على قدميها تنظر الى الحشرة القارحة. والى نظراتها المنتقمة الحاقدة.. وتنهدت:

- إذن فهو يملكها جميعاً..

لكنها لا تزال تحبه.. حتى ولو أخذ منها كل أملاكها ستبقى تحبه.. ولو كان كل ما تقوله إيموجين صحيح، ستبقى تحبه. ورتبت كتف المرأة بإشفاق:

- ولو كان يملك كل هذا.. ولو فعل كل هذا.. ولو فكر بكل هذا.. سأبقى أحبه.. ولا شيء تقوليه أو تفعليه .سيدفعني الى التوقف عن حبه.. حافظي على أنفاسك ووفريها..

استدارت على عقبيها وخرجت، لكنها لم تشاهد الحقد والكراهية اللذان أشعلا النار في جسد إيموجين وجعلاها ترتجف.

بعد أيام، حشرت روبينا ليو وقت الغذاء:

- ليو أتقول لي شيئاً؟

- هذا يتوقف على ما هو.

- قبل كل شيء هناك إيموجين.

- أظنك عرفت إنها ليست مريضة.. كانت متعبة، تعاني من سوء التغذية، ومدمنة مخدرات. لكنها ليسن مستعدة للإعتراف، والإعتراف أول خطوة نحو الشفاء. ولم أستطع إقناعها بالعلاج.. وبكل تأكيد تستطيع الخلاص من حادثها في أي وقت تشاء.

- أهذا ما كنت تفعله معها كل ليلة، إقناعها بعدم تناول المخدرات؟

- تماماً.. هل هذا كل شيء روبينا؟ هل أشم رائحة الغيرة؟

- أنا؟ أغار؟ ولماذا؟ أنا أجيرة هنا.. ولا أعرف ما هو أجري بعد.

- وهذا أمر آخر.. أنت أبرع فتاة في تغيير الموضوع عرفتها.

- ماذا عن إيموجين؟

- حسناً.. ليس هناك حل فوري.. لكنها لا زالت تحت مسؤوليتي.

- و..؟

- ويجب أن أتخلص من هذه المسؤولية قبل أي خطوة أخرى، ألا ترين هذا؟

- أجل.

تنهد ليو بارتياح.

- هذا أحد أهم الأشياء التي تعجبني فيك روبينا.. تفهمين الأشياء بسرعة.. على أي حال، لا زالت إيموجين مشوشة نفسياً

لا تستطيع التقرير بأن تبيع المزرعة ونقتسم.. في النهاية قد أضطر الى ترك كل شيء لها.

- إذن.. في العاشر من هذا الشهر، ستنتهي تمثيليتنا..؟

- صحيح.. وأعتقد أن علينا القول أن المسرحية ستنتهي في العاشر، ونستطيع المضي كل في حياته،، لكن هناك شيء آخر في ذلك التاريخ عالق في مؤخرة تفكيري!

- إنه عيد ميلادي.. وسأبلغ التاسعة عشرة.

- هذا هو.. طبعاً.. عيد ميلادك.. التاسعة عشرة.. عمر النضوج والإكتمال، على الأقل ستبدأ الخروج من أيام المراهقة، اليس كذلك؟

المرارة أعمت بصرها.. سدت أذنيها، وندفقت الدموع من عينيها.. لكنه تابع:

- .. هكذا لن تستطيعي البقاء هنا.. وأظن من الأفضل أن تعودي الى «ويندشلتر».

- في العاشر؟

- أجل.. متى ستنتهي صفوف الفصل؟

- في الخامس عشر.

- حسناً.. لنقل أنك ستذهبين الى الشقة في كارليل من العاشر حتى الخامس عشر.. ثم تعودي الى المزرعة.. وفي الخريف.. نستطيع..

- لا أظن أن علينا التخطيط طويلاً.. في الربيع قد أنتقل الى جامعة أخرى.

وقف بهدوء يلملم الصحون:

ـ اللعنة روبينا.. لم تصغي الى كلمة قلتها.. لدي عمل أهتم به.. إذهبي الى النوم، وسأتفقدك قبل أن تنامي.

اتجهت الى الباب تتمتم متمردة:

ـ حاضر.. أبي!

آخر يوم لها في هيل سايد كان يوم الخميس، ولم يكن لدى روبينا أية دروس.. أمضت ساعة في المطبخ تساعد سارة، ثم قادت سيارتها الشاحنة الصغيرة الى المطار لساعة طيران.. حين عادت وجدت أن سارة تركت لها مذكرة بأنها سافرت مع تود الى منزل أخيها فأحد أبناءه أصيب في حادثة، وأن الغداء في البراد.. هكذا حضرت لنفسها سندوشات صغيرة من اللحم والدجاج.. ثم صعدت ببطء الى غرفتها، أمامها توضيب الحقائب بعد.. خذي معك كل شيء.. فقد لا تعودي الى هنا ثانية.

سمعت صوت هليكوبتر تقترب، ثم شاهدت الأضواء، تملأ الغسق.. وظنت أن قد عاد أخيراً.. وسيتناولا العشاء معاً لآخر مرة: حسن لقد شاهدك طوال ثلاثة أشهر بالجينز والبلوزة.... فأرتدي له شيئاً مميزاً!

ركضت نزولاً على السلم.. عيناها لم تكن قد اعتادت الظلام، لكنها كانت تشاهد الرجل الطويل يتحرك نحوها من إتجاه الزرائب.. تابعت الركض نحوه.. لكن قدمها التوت قبل أن تصل إليه وفقدت توازنها لتسقط بين ذراعيه تماماً.

ـ أوه ليو.. لقد إشتقت إليك كثيراً!

ـ حقاً؟

صوت أجش عميق رد عليها.

ـ أوه.. أنت لست ليو.. يا إلهي! كريستوفر.. مورغان..! ماذا تفعل هنا؟

ـ جئت آخذك روبينا.. صغيرتي.. ولسوف نتزوج!

قاومت قبضته:

ـ دعني.. لا بد أنك أبله.. فأنا متزوجة،، دعني وشأني! كيف عرفت أين تجدني؟

ضحك:

ـ أتصدقي..؟ ضيفتك قالت لي، وعرضت عليّ مبلغاً لآخذك متزوجة مني؟

حسناً سنسجل هذا على إنه إختطاف.

وإذا أراد زوجك استرجاعك.. قد لايعود يرغب بك.

ـ ولماذا تفعل هذا؟

ـ لأجل المال.. بطريقة أو أخرى.. لأجل المال.

ـ أنت مجنون، فلو صرخت لتجمع كل من هنا عليك! دعني!

ـ هيا.. أصرخي ودعينا نرى من سيأتي لمساعدتك..!

ـ أمسك بها جيداً بحق السماء!

الصوت جاء من ورائها، صوت حاد نسائي.

ـ إيموجين.. أطلبي النجدة.. إنه مجنون!

ـ لكنك كنت مخطوبة له.. ليس كذلك؟

ضحكتها أذهلت روبينا.

- إيموجين . . ؟ أنت؟ لماذا؟ أنا مغادرة في الغد. ماذا يمكنني أن أضرك.

- لن تغادري في الغد يا فتاة . . بل الليلة . . وسأخبر ليو أنك هربت مع عشيقك السابق . . وستكون هذه نهايتك، أمسكها جيداً.

أخرجت قرصين من زجاجة تحملها، ودفعتها في فم روبينا وقالت ضاحكة.

- إبتلعيها جيداً يا صغيرة! إنها الأقراص التي كنت معتادة عليها.

رفع كريستوفر لها رأسها، فإما أن تبتلع أو تختنق. وابتلعت . . وتمتمت إيموجين بحقد، غير قادرة على السيطرة على ما تفعل:

- إثنتان أخريتان . .

لكنها دفعتها الى إبتلاع ثلاثة . . ثم قالت:

- هذا يكفي . . والآن خذها الى الهليكوبتر . . والى حيث ستأخذها.

- أعرف مكاناً . . مخزن فارغ قرب البحيرات . . وإذا لم أخبرك عن المكان كان هذا الفعل لنا.

حملها بين ذراعيه، الى حيث ينتظرهما الطيّار ونظرة حيرة على وجهه . . لكن ما أن وضعها كريستوفر في الداخل، حتى وضعت كلتا يديها بضعف على ذراع الطيّار وهمست.

- إنه يخطفني . ! نظر الطيار الى كريستوفر.

- تخطفها؟ ظننتك قلت إنها مريضة . . لن أشارك في عملية

خطف يا صاحبي!

- بل ستفعل . . أنظر الى هذا . .

ووجه اليه فوهة مسدس أخرجه من جيبه . . لكن الطيار أصرّ:

- لن أقودها الى أي مكان.

- إذن خذ هذه . .

وضربه على رأسه بالمسدس، ثم قذفه الى الخارج . . والتفت الى روبينا:

- أنت! تستطيعي قيادة هذا، تحرياتي عنك أخبرتني بهذا.

- أنا . . أتريديني أن أقودها الى جنازتي؟

- أخذت أذناها تطنان . . لقد بدأ تأثير المخدر . . ولم يعد أي شيء مهم . . وبدأت أصوات موسيقى الفالس تصدح في رأسها، ووثبت الهليكوبتر في الجو . . . حتى الف قدم . . وأخذت تلوّح المقود مع أنغام الفالس الراقصة . . وتأرجحت الطائرة معها.

- لقد إنقلبت الى اللون الأخضر كريس . . هذا مسدس سخيف . . يجب أن تضعه في المتحف . . هل ستطلق النار؟

- ستعرفي هذا إذا حاولت خداعي . . إذهبي غرباً!

- غرباً . . ؟

نظرت الى البوصلة، وبالكاد استطاعت قرائتها . . وصاح بها صوت من فوق رأسها:

- هليوكوبتر ٨١٦ ل ك . . أنت تمر في المجال الجوي للمطار دون إذن . . هنا برج المراقبة في مطار كارليل . . إهبط الى خمسمائة قدم . .

www.elromancia.com

بكل تأكيد هذا نوع من الأوامر تعرفه.. وهبطت الطائرة كالحجر حتى الإرتفاع المطلوب.. كان كريستوفر لا زال أخضر الوجه، ويتمسك بمقبض الباب وجاء الصوت نفسه:

- هليكوبتر ٨١٦ ل ك.. هل تواجه التاعب؟

فتحت المذياع:

- لا شكراً لك.. ما عدا إنه يخطفني!

صاح كريستوفر وقطع أسلاك المزياع، ورفع يده ليضربها، وكاد يرمي بمحتويات معدته في نفس الوقت، وصاخ بها مختنقاً:

- إذهبي الى البحيرات.

لكن موسيقى الفالس عادت تعزف في رأسها مجدداً.. وأخذت المركبة تتمايل يمنه ويسرى، وتتراقص في الهواء.. يجب أن أحط.. لكن يجب إفراغ خزانات الوقود أولاً.. كي لا أصطدم، بالأرض وتنفجر الطائرة..!

سألها كريستوفر الراكب المتوتر:

- هل أنت واثقة إننا ذاهبان الى البحيرات؟

- طبعاً كريس.. ولماذا لا؟

- كم بعد؟

- لن نتأخر.

كانت إبرة العداد تشير الى أن الوقود أخذ ينفذ. لقد عادت بالطائرة الى حيث بدأت.

- كريس.. أظننا مضطران للهبوط هنا!

- يا إلهي.. لم أعد أهتم. حطي بها قبل أن أقفذ.

- مسكين كريس.. لا أظنك ستكون يوماً خاطفاً ماهراً.

في تلك اللحظة تقطع المحرك، وساد صمت فوري..

- من الأفضل أن تتمسك كريس! فأنا لا أرى الأرض. وقد نصطدم بشيء.

لكن، مع توقف المحرك، كان كريستوفر قد فقد وعيه. وأخذت الطائرة تدور.. واصطدمت في جانب الزريبة في مزرعة هيل سايد.. وتهاوت الطائرة أمام عينيها.. لكنها لم تعِ ما تبقى.. لم تعِ الصوت، ولا الإرتباك، ولا ظهور الرمل القاطب ولا الحريق ولا أي شيء.. حتى الإنفجار النهائي الذي بعثر بقايا الطائرة في دائرة مائتي يارد وأحرق الزريبة الفارغة حتى الأرض.

www.elromancia.com

- ٨ -

الدرس الاول

همس صوت ناعم منخفض في أذنها:

- حسناً.. هل قررت العودة إلى الوعي؟

ردت بذهول:

- أنا.. أنا.. أعتقد هذا.. أنا..

كانت على وشك أن تتلفظ بالسؤال التقليدي: أين أنا؟ لكنها عرفت على الفور، أنها في فراشها في «هيل سايد» فكافحت بقوة لتجلس لكن ذراعيها كانتا بطيئتا التجاوب.. وتمتمت:

- يجب أن أخرج من هنا اليوم.. أوه.. سارة، اليوم هو العاشر من الشهر.. ويجب أن أذهب.. هو قال هذا..

- هراء.. اليوم هو الثاني عشر.. ولست بحاجة إلى الذهاب إلى أي مكان.. كيف تشعرين؟

- بخير.. ما عدا.. لماذا أحس بالنعاس هكذا؟

قالت المدبرة:

- خمس حبوب مخدر تفعل هذا بكل تأكيد.

- قلت الثاني عشر؟.. يا إلهي.. لدي الإمتحان النهائي في

الجامعة اليوم، في الساعة التاسعة! يجب أن أذهب أو أضيع عمل الفصل الربعي كله.

ضحكت سارة:

- أنت مريضة نافذة الصبر مثله تماماً.. لقد اهتمت لينا هايلاند بكل هذا.. لقد عفتك الجامعة من بقية الامتحانات.

- مثله تماماً؟ ليو مصاب؟

- غاضب أكثر مما هو مصاب عزيزتي.. عاد دون توقع إلى المنزل بعد عشرين دقيقة على رحيلك.. كان يجب أن تسمعيه يخاطب «صاحبة الجلالة» مع تلك القصة السخيفة عن هربك مع مورغان.. وجلس قرب الهاتف يتصل بكل محطات الرادار المنتشرة في المقاطعة بحثاً عنك، خاصة بعد أن قال له برج المراقبة في مطار كارليل، أنك مخطوفة. أتعلمين أن طائرتا هليكوبتر للجيش لاحقتا طائرتك طوال الوقت؟ ليو كولونيل إحتياط.. أتعرفين هذا؟

- أوه.. كم أن هذا رائع.. لكنه مصاب؟

أحست بالإرتياح لاهتمام أحد بها.. شخص مهم مثله!

- حين كنت تحومين فوق المنزل، كان ينتظر كالمجنون قرب الزريبة.. وكم كان متوتراً! كان يقول باستمرار: «ستهبط بها جيداً».. لكنك أخطأت الهدف أليس كذلك؟

- السبب هو أقراص المخدر.. لم أستطع تركيز عيني.. أتظني أنهم قد يسحبوا رخصتي؟

- لا تكوني غبية.. أنت بطلة.. حسناً، صدمت المبنى وكان

هناك بلمح الصاعقة.. أصبت بكدمة على رأسك، وعينك الآن سوداء.

- أصيب إذن وهو يخرجني من الطائرة؟

- ليس بالضبط.. حملك إلى التل وتركك معنا.. ثم عاد إلى مورغان... كنت أذكى فتاة في العالم، بقيت تدورين إلى أن نفذ الوقود.. لكن بقي بخار الوقود في الخزان، وانفجر.

رفعت روبينا يدها إلى فمها:

- هكذا أصيب.

- لا.. ليس هكذا.. انتظري وستضحكي.

- ماذا حدث..؟ أخبريني ماذا حدث؟

- أوكي.. أوكي.. لكن لا تصرخي.. فهو في الغرفة المجاورة.. دفعنا جميعاً إلى الإنبطاح أرضاً، وانفجرت الطائرة، أوه يا إلهي.. كالصواريخ، كالألعاب النارية.. أوه.. يا إلهي! ثم وصلت النار إلى المخزن.. ولم يكن في يدنا شيء نفعله، فجلسنا نراقب.. لكن ليس زوجك.. فقد كاد يجن غضباً.. ليس بسبب الطوافة، ولا الحريق، بل لأن مورغان قال كلاماً بذيئاً عنك.. جذب الرجل من قميصه، وضربه إلى ما يقرب الموت.. لكنه كسر يده وهو يفعل هذا.. والآن أنهي فطارك، وعودي إلى النوم.. أتسمعي؟

- أسمعك.

لكنني لن أحتاج إلى النوم.. شربت عصير البرتقال.. وقضمت التوست مرتشفة معه قليلاً من القهوة.. وجدت صعوبة

في الوقوف، لكن مع تحركها، أخذت قدماها تثبتان أكثر فأكثر.. الفتاة التي بدت لها في المرآة كانت غريبة، مرتجفة واسعة العينين مشعثة الشعر تحاول الثبات.. تنهدت: ما ترينه هو ما حصلت عليه.. وأنت مدينة له.. بكل شيء، وليس لديّ سوى شيء واحد أعطيه للرجل الذي لديه كل شيء.. لديه: أنا.. ثم سأرحل.

كان مستلقياً على ظهره تحت غطاء من شرشف واحد، ويده اليمنى فوق الغطاء مربوطة بجبائر بلاستيكية.. تقدمت منه، رفعت الغطاء، واندست إلى جانبه.

حرارة جسده كانت كالفرن. والتصقت به، مستخدمة أصبعاً لتدفع خصلة الشعر عن جبينه.. كم نحن متناسبان.. أطراف أصابع قدمي على أطراف أصابع قدميه، وتصل قمة رأسي تحت ذقنه تماماً.. ثم ألا يحتاج إلى حلاقة ذقن؟ كانت أطراف أصابعها هي التي تحمل هذه المعلومات إلى دماغها.

اندست فيه أكثر، فتحرك في نومه، وتحرك إنشاً أو اثنين.. دون أن تدري ما تفعل، أسندت نفسها إلى مرفقها وأخذت تداعب صدره.. تحرك مرة أخرى.. ثم فتح عيناً واحدة.. وصاح:

- ماذا تفعلين؟

خشونة صوته أرجعتها عنه.. لكنها همست:

- أنا.. أغويك.

الغضب تحول إلى إبتسامة، ثم ضحك:

- حسناً.. لست ناجحة في عملك.

- أفعل أفضل ما أعرف.. فأنا لم أغوِ رجلاً من قبل.. بإمكانك مساعدتي.. فأنا أحبك.

- لن أستطيع مساعدتك، فأنا مثلك لم أغوِ رجلاً من قبل.. وأنا أحبك أيضاً.. روبينا.

- أنت.. أنت.. صحيح؟ ولمدة طويلة؟

قاوم ليكبح الضحك. لكنه لم ينجح:

- ليس بالضبط.. لكن منذ وبختني لينا.. منذ بضعة أيام.. يا إلهي.. يا لها من إمرأة سليطة اللسان! وعرفت كم كنت مخطئاً بحقك.. ماذا تحاولين أن تفعلي الآن؟

أمسكت يده السليمة، ترفع ذراعه لتضعها حولها:

- قرأت مرة في كتاب أن الرجل حين يفعل هذا.. ألن.. ألن تعلمني ماذا بعد هذا؟

- بكل تأكيد سأفعل.. لكن ليس قبل بعد الغد.

- لست أفهم.. لماذا ليس في الغد مثلاً؟ لماذا ليس اليوم؟ هل السبب مناجمي؟ أتحاول فعلاً سرقة مناجمي؟ هذا ما قالته إيموجين لي، لتحاول إنقاذ شركة المناجم التي تملكها أنت من الإفلاس.

ضحك:

- ما من أحد يمكنه أن يكون ساذجاً مثلك... بالطبع لا أحاول سرقتك.. أنا سارق للوقت، وليس للمال، وأحاول الآن أن أسرقك أنت!

لم تعد بحاجة إلى إمساك يده حولها، فقد كانت يده تقوم بواجبها كاملاً.. لتسبب أحاسيس مجنونة، وحرباً ما بين هذه

الأحاسيس.. عطش لا تعرف له معنى سيطر على دماغها.. وطغى على كل ما تعلمته خلال تربيتها في الدير، وأخذ يقتحم أسوار فضولها ليحطمها.. وسألت:

- ولم تعد مرتبطاً بإيموجين؟

- بعد ما فعلته لك؟ هراء! لقد سلمتها للبوليس، مع ذلك الغبي مورغان.. أتعرفي أنها استأجرت مجموعة مخبرين خصوصيين لإيجاده؟

- وأنا.. ألا زلت تظنني مولعة فقط بك، لأنني طفلة؟

- يا للسماء المقدسة.. ما هذا السؤال في مثل هذا الوقت؟ لا.. لا أعتبرك طفلة، ولا أظنك تعانين من ولع المراهقة.. يا إلهي.. هذه النظرة تجعلني أتصرف بشكل أخرق..!

- إذن.. لماذا يجب أن أنتظر إلى ما بعد الغد؟

- لأننا سنتزوج يومها، أيتها المجنونة الصغيرة..

همست:

- يا إلهي، عجّل بقدوم ذلك اليوم.

- ماذا قلت؟

- قلت.. لماذا أنت عنيد هكذا؟ لماذا أنت الشخص الوحيد في المقاطعة كلها لا تصدق أننا متزوجان؟

دفن وجهه في دفء شعرها، وضمها إليه:

- بدأت أتصور مراسم الزواج.. ترتدين الفستان العاجي اللون.. وأستاذك في فن الإغواء أعطاك علامات النجاح.. أليس كذلك؟

ـ لا . . بل سأرتدي الأبيض . . فكثيرات من الفتيات يكذبن في هذا، لكنني سأكون صادقة .

ضحكت، وانتظرت، ترتجف، متوقعة . . وهو يبدأ درسه الأول لها .

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة